

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الميدان : اللغة والأدب العربي

فرع : أدب عربي

تخصص : أدب جزائري

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

رقم : L15/366

مذكرة مكملة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي

إعداد الطالب(ة) : دلال محوي

تحت عنوان

أدب السجون في الشعر الجزائري الحديث
دراسة موضوعية وفنية لمجموعة من النماذج

تاريخ المناقشة: 2017/05/21

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	1- أ/ خالد شلي
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	2- أ/ عبد اللطيف حجاب
مناقشا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	3- أ/ عمر عليوي

السنة الجامعية : 2016 - 2017 م



مقابلة

مقدمة :

إن علاقة الشعر بالإنسان هي علاقة متشابكة فهي ترتبط بتفاصيل حياته، إذ نجح الشاعر في تعبئة المجتمع وتبصرته بما حوله من عثرات، و إن أخفق في إيصال فكرته ينتهي به الأمر إلى السجن ولكن هل يمكن لهذا السجن أن يسكت صوت الشاعر؟ وهذا الذي أراده إختيارا.

وبالتالي فالإيمان بالحرية والوطن تجعل الشاعر يضحي بكرامته مستقبلا المصير الشائك، تحدي السجن، الصبر على مواصلة الدرب حرفا وكتابة من عمق الزنازين، وغرف التجميد والأيام المظلمة فهو يخط بكل ما يمكنه أن يحمل حرفا إذا منعت عنه الأقلام والأوراق فلجأ الشاعر إلى تهريب كل ما تخطه يد السجين المثقف لتؤدي رسالتها في المجتمع.

لكن قناعتنا بأن الأدب الجزائري مليء بالتجارب التي يمكنها أن تثري الشعر العربي بما تحمله من طاقات إبداعية هائلة، و بأنها تستحق أن تكون ضفة من ضفاف الشعر العربي، جعلتنا ننفذ الغبار عن نتاج الأقلام الجزائرية التي سارت طويلا في مجال الإبداع بمختلف طبوعه لكن سيرها عرقلته اللامبالاة و التهميش.

فقد كانت هذه القناعة أساسا لاختياري هذا الموضوع الذي سيكون مدار بحثي، والذي ارتأيت أن أتناول بالدراسة أولئك الشعراء الذين تركوا بصمة واضحة في الإبداع الأدبي الجزائري أمثال: مفدي زكرياء، أحمد سحنون، محمد العيد، عبد الرحمان بن العقون.

فهؤلاء الشعراء كانوا أصحاب ذلك الإبداع المكتوب من وراء جدران السجن في سياق معلوم تاريخيا، الذين ثاروا ضد المستعمر فكان مصيرهم غياهب السجن الموحشة، لقد تفرد هؤلاء الشعراء بحب انتصار القضية في كل المواقف فكانوا طموحين، لا يكتفون إلا برؤية صورة الجزائر المستقلة فضلوا طول حياتهم في هذه السجون لا يخضعون للذل

والهوان، ولا يحبون الدنيء من الأشياء، فبقوا متحدين لظروفهم الصعبة، التي أظهرت شخصيتهم الوطنية فكانوا بمثابة القنديل الذي ينيّر الطريق.

أما عن أسباب اختياري لهذا الموضوع فتعود إلى:

أولاً: أن البحث في موضوع شعر السجون قليل في الأجناس الشعرية إن لم نقل أنه نادر.

ثانياً: حب الإطلاع على الجدران و القضبان المكدودة التي كانت سببا في صقل المواهب بتحدي الشعراء لها لنقل و تصوير محنتهم، وتنفيسا عن ألامهم.

ثالثاً: النزعة الوطنية التي تدفعنا للبحث عن أعلامنا ودواوينهم، وكشف تجاربهم التي توالى عليها الإهمال و التهميش، من طرف المستعمر أولاً والباحث الجزائري ثانياً.

فهذه الأسباب كانت كافية لألج باب السجون والمعتقلات، بحثا عن الرجال وأثارهم، وعن القيم الفنية البالغة التي يحملها شعر السجون والرسائل الهادفة، إذ إن الشاعر السجين اتخذ مذهباً يعبر من خلاله من إحتجابه.

ولاشك أن لكل بحث اشكاليته التي تختصر بعده المعرفي وتؤسسه تأسيساً علمياً منهجياً.

- والاشكالية التي يطرحها البحث ما موضوعات وجماليات أدب السجون؟

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على كل من المنهج: الوصفي التحليلي في تتبع واستقراء أفكار الشعراء ومضامين قصائدهم، وفي رصد الأدوات الفنية التي اعتمدها في صياغة أفكارهم وبعض من اجراءات المنهج التاريخي.

ومن تحديدي لطبيعة إشكالية البحث ومنهجه، فقد قسمت البحث إلى فصلين بالإضافة إلى مدخل ومقدمة وخاتمة وفهارس، فقد تناولت في الفصل التمهيدي مفهوم شعر السجون، ثم تطوره عبر العصور الأدبية، و عوامل نشأته.

أما الفصل الأول وتطرق في فيه إلى بدايات الشعر الجزائري الحديث، ثم شعر السجون في الجزائر، وأهم رواده، وأبعاده.

بالنسبة للفصل الثاني فقد عرضت فيه أهم المواضيع التي كان يتناولها شعراء السجن مع التطرق إلى خصائص هذه المواضيع، ثم تحدثت عن الجانب الفني وتناولت فيه المعجم الشعري، ثم الصورة و الموسيقى الشعرية.

وأنهيت البحث بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في كامل هذه الفصول معتمد في إنجاز هذا البحث على مجموعة مصادر و مراجع أهمها.

- اللهب المقدس لمفدي زكرياء.

- ديوان أحمد سحنون.

- شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر لسالم معوش.

أما الصعوبات التي واجهتني فلا تكمن في قلة المصادر والمراجع، وإنما في تشابك المادة العلمية التي وردت فيها.

وفي الأخير وقبل أن أختتم هذه المقدمة، لا يسعني إلا أن أشكر كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر أستاذي المشرف " حجاب عبد اللطيف" الذي دلل امامي كل الصعوبات وأرشدني إلى ما سدد خطاي نحو إنجاز بحث يتضمن قدرا من المعايير العلمية.

مدخل

ماهية شعر السجون

أولاً: مفهوم شعر السجون.

أ - لغة.

ب - اصطلاحاً.

ثانياً: عوامل نشأة شعر السجون.

ثالثاً: تطور شعر السجون عبر العصور الأدبية .

أولاً : مفهوم شعر السجون.

أ - السجن لغة: إن الدلالة إلى مفهوم السجن في اللغة العربية موجود منذ القدم، فنجد مصطلح السجن، الحبس، الحجز، وقد دخلت هذه الكلمة إلى معاجم اللغة العربية . وفي لسان العرب لابن منظور، نجد كلمة الحبس والسجن بالفتح، والمصدر سجنه ويسجنه، سجناء، حبسه، وفي بعض القراءة (قال رب السجن أحب إلي)، السجن المحبس، السجان، صاحب السجن، ورجل سجين مسجون .(1)

فالسجن عند أصحاب المعاجم، وقد استعملته العرب للدلالة على جزاء الحرية وتقبيدها، ويذكر الشاعر أحمد الصافي النجفي في مقدمة ديوانه "حصار السجن"، أن الشعر " عدي بن زيد العبادي " أول شاعر عربي في قافلة السجناء الذين ذكرهم التاريخ الأدبي قد أورد كلمة مسجون قائلاً :

أتاك بأثني قد طال حبسي ولم تسأم بمسجون حريب .(2)

كما وردت كلمة السجن في القرآن الكريم في عدة مواضع في سورة يوسف (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (3) وقال أيضاً: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (4). كما أن الحديث الشريف قد أورد هذه الكلمة

وقد شاعت السجون في الحياة العربية، ويرجع الناس أن الكلمة قد استحدثتها شخصية يقال إنها أسطورية وهو الضحاك . (5)

¹ ابن منظور ، لسان العرب (فصل السنين المهملة، باب النون) ، ط3، دار صادر، بيروت، 1994، ص 103 .

² سالم المعوش ، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 2003، ص 19 .

³ سورة يوسف ، الآية 25 ،

⁴ سورة يوسف ، الآية 39 ،

⁵ سالم المعوش ، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ص 30،

ب - السجن اصطلاحاً :

السجن موطن آخر وهو غاية في الضيق محكم السدود والقيود، أما النتاج الأدبي فيه يسمى حصاد السجن، وينسب إلى السجن لعلاقة السبب والمكان لأن شرطه أن يكون الشاعر سجيناً حقاً، وينظمه في السجن لا خارجه، أما من حيث موضوعه نحو السجن وما يتصل به، أو الحرية والتحرر وما يتصل بهما من الظروف، وهذا الشعر أحد شتى أدب السجون في الأدب العربي قديمه وحديثه .

إن السجن إما أن يكون في مخيلة الشعراء سجن في النفس وآخر في الأهل والمجتمع وثالث في مبنى حقيقي، وللسجن صور متنوعة سواء أكانت بفعل سجان أم بفعل ظروف مطلقة، وقد تصور الشاعر محمد العيد آل خليفة السجن محابس، وهو الذي جر بها وقضى قرابة ثماني سنوات من الإقامة المحدودة قال :

**فأعرض عن الدنيا لوجهك وإن كنت طلقاً وجهها غير عابس
جفاها رهين المحبسين وعافها فكيف يوليها رهين المحابس.**⁽¹⁾

وإذا أردنا الحديث عن شعر السجون يتعين علينا التطرق إلى أشهر السجون التي ظلت طوال حرب التحرير أداة للممارسات اللاإنسانية : سجن بربروس بالقصبة، وسجن الحراش بالجزائر، وسجن لامبيز بباتنة وسجن الكدية بقسنطينة و سواها ...، وفيما يخص المعتقلات التي تعنى هي الأخرى محابس، فإنها في الثورة التحريرية تتمثل في مختلف الأماكن ،التي كان الاستعمار يجمع الناس فيها، وما يميزها عن السجون، أن الأولى يلجأ إليها الاستعمار في أوقات خاصة، والأشخاص الذين يساقون إليها للاعتقال لا يخضعون للتحريرات الدقيقة.

وتتعدد موضوعات هذه السجنيات، وإذا تقاربت في وجهتها العامة، وهي النزوع للذات ورفض جميع القيود، أما عن الأسماء الكثيرة التي حملت سواء هذه الموضوعات

¹ مقران فصيح، البناء اللغوي لشعر السجون، عند مفدي زكرياء وأحمد صافي النجفي، منشورات بونة، عنابة،

الجزائر، ط1، 2008، ص 13.

فوجد مثلاً بدر شاكر السياب، سليمان العيسى، البياتي، سميح القاسم، كلهم عاشوا تجربة السجين⁽¹⁾.

ثانياً : عوامل نشأة شعر السجون:

لقد اختلفت أسباب السجن وتعددت، فمن الشعراء من كان يستعطف الحكام، وهناك من كان يعبر عن ما في خوالجه، وهناك من كان يرى الحق في نفسه فكان متهماً على ظالميه في شعره، وهناك من الشعراء من اكتفى بالتحسر على حالته ومن أهم عوامل نشأة شعر السجون هو الدعوة إلى الحق، فلقد كان الشعراء يدعون إلى ضرورة المساواة الاجتماعية، والتعقل.⁽²⁾

وهناك من الشعراء منهم من وصف فنون البؤس، وألوان العذاب، وتتصل من كل ذنب، وأقسم بالإيمان المغلظ وطلب الرحمة من الحاكم ومنهم من نادى بالحرية وتحدي السجن، فالشاعر كان يعبر عن حق شعبه وهذا ما ذهب إليه شاعر الثورة (مفدي زكرياء):

حسبي وحسب أناس إن غدوت لهم عودا يعطّهم ذكري وأحترق

وأنت يا سجن لو أفللت ناصيتي رأيتني بخطوط النار أحترق

ونتاج الشعر في السجن تعبير عن حالة جماعية أكثر منها فردية وما الشعر السجين إلا صورة مصغرة تجسد مأساة جماعية شعبية، وهو ما عبر عنه الصافي بقوله :

قضيت حراً حقوق النفس كاملة واليوم في السجن أقضي حق أقوام.⁽³⁾

¹ محمد زغينة، شعر السجون والمعتقلات في الجزائر (1954-1962)، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة، (1989-1990)، ص 17-19.

² مقران فصيح، البناء اللغوي لشعر السجون، ص 14.

³ المرجع نفسه، ص 15.

ثالثاً : تطور شعر السجون عبر العصور الأدبية :

لقد عرف هذا اللون من الشعر تطور ملحوظا عبر سائر العصور الأدبية نظرا لما لعبه من تحسيس بقيمة وشدة تعلق الإنسان بالحرية .

أ- العصر الجاهلي :

كان الشاعر آنذاك يعد جزءا مهما في التركيبة الاجتماعية، بحكم أنه المتحدث بلسان القبيلة، وكان السجن في حياة البدو نتيجة الحرب، أو أسباب سياسية واجتماعية، وانتشار النهب والسلب، إذ يعتقل الشعراء كأسرى حرب، كما حدث للشاعر (عبد يغوث الحارثي) الذي أسره (الأهثم) في منزل زوجته، يقول في أسره :

أقول وقد شدوا لساني بنسعة معشر تيم أطلقوا من لسانيا
وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تر قلبي أسير يمانيا

كما نجد الشاعر " عدى بن زيد العبادي" الذي سجن لسبب سياسي، و"النابعة الذبياني" وذلك ما تجلى في علاقته مع البلاط السياسي حيث أنه نفي وأفرد كما يفرد البعير الأجر.

كما سجن في هذا العصر شعراء آخرون أمثال: الشنفرى، وأبو الطحان القسي، طرفة بن العبد .

ورغم التجربة الجديدة للسجن، إلا أن وقعها كان شديدا، فنجد موضوعات هؤلاء المسجونين فرضتها الحياة الجاهلية من مثل وصف الأسرى، والشكوى والظلم، والمقارنة بين حياة السجن والحياة الخارجية . (1)

ب (شعر السجون في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي :

إن المدونة العقابية التي كان يستند إليها التشريع الإسلامي هي القرآن الكريم، والسنة النبوية، ثم إجتهد الفقهاء ولعل أبرز مبادئ هذه المدونة هو القصاص، لذلك لم تكن هناك

¹ سالم المعوش ، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ص 47 .

حاجة ماسة للسجون ،إلا للمخالفات التي لم تضع لها الشريعة حداً أول من بني السجون هو علي بن ابي طالب ،فإنه بنى نافع وبنى المخيس .⁽¹⁾

كما أن الخمر كان سبباً للدخول إلى السجن في صدر الإسلام، وبعده في زمن الخلافة الإسلامية، وتكثر الأمثلة على ذلك، نذكر منها (أبو محجن الثقفي) الذي سجنه الخليفة "عمر بن الخطاب" بسبب معاقرة الخمر فنفاه إلى جزيرة هرب في طريقه إليها، وإلتحق به "ابن أبي وقاص"، فكتب إليه عمر يأمره بحبسه ،فأنشد يقول :

كفي حزناً أن تردي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً علي وثاقيا
إذا قمت علا في الحديد وغلقت مصاريع من دوني تصم المناديا
.... والله عهد لا أخيس بعهد لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

كما أن سجون بني أمية تميزت بالكثرة والتنوع بسبب تزايد الخصومات السياسية والقبلية والمذهبية، فسواء في "معاوية" أو "يزيد" فقد سجن الكثير من الخوارج والعلويين.

وتوالى سجن المعارضين في الولاة بعدها، إلى أن بلغت العناية بالسجون أشدها في عهد (الحجاج بن يوسف الثقفي) ، ونسبت إليه سجون كثير، كما أن السجون في عصر بني أمية قد كانت مستقراً دفعت إليه المذهبية الدينية فكانت باباً واسعاً دخل فيه الكثيرون إلى السجن ،هذه المذهبية التي ضمت الدين والتعصب والشعبية والزندقة والصراع على السلطة والتمرد والثورة⁽²⁾.

ت (شعر السجون في العصر العباسي :

لقد عرفت مؤسسة السجن في هذه الدولة تغييراً جديداً وضوابط صارمة وتنظيماً محكماً حسب قوانين هذه الدولة التي عرفت مزيداً من القوانين، والدارس للأحوال العامة

¹ سالم المعوش، المرجع السابق ، ص 48.

² سكينه قدور، الحبسيات في الشعر العربي ، أطروحة دكتورا في الأدب العربي الحديث، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة ، 2007، ص 21.

لهذا العصر يجد أسبابا لنمو ظاهرة السجن، ففي تطوره لم يخل من الحرب والقمع والإرهاب والتمرد، وهذا ما دعى إليه الشعراء فكان السجن من نصيبهم، وقد جمع السجن الكثير من هؤلاء الشعراء نذكر منهم: المتنبي، وأبو العتاهية، وأبوفراس الحمداني، وابن زيدون، والمعتمد بن عباد .

الملاحظ على شعر السجون في الأدب العباسي أنه تطور بتطور الحياة العامة، وشمل هذا التطور تعميق واستحداث موضوعات جديدة اقتضتها الحياة الجديدة، والتي جاءت أغلبها في صفوف المعارضة، وفي كل ذلك عبر الشعر المتصل بهذه الأحداث عن آلام السجن، ونجد من بين الذين تعرضوا لعقوبة السجن عدد كبير من الشعراء، يقارب حسب إحصائيات (عبد العزيز الحلفي)، الأربعين شاعرا، لأنهم كانوا دائما في صفوف المعارضة، وإنما الشاعر كان في الوقت نفسه شخصية سياسية يصيبه ما يصيب رجل السياسة عند تقلب الأوضاع واصطدام المطامع، واضطراب الأهواء من حال إلى حال (1)

ج (شعر السجون في عصر النهضة :

إن نشأة شعر السجون في عصر النهضة العربية كانت نتيجة حتمية لعدم استقرار المجتمع العربي، وأديب إسحاق، كاتب وشاعر ملتهب الذكاء، من أشهر مؤلفاته " الدُرر " وهي منتجات من أشعاره وخطبة ومقالات، إذ رفض العيش في ظروف ميزتها الاضطرابات، وفي أحد قصائده يخاطب (محمد سلطان باشا) الذي دفع به إلى السجن:

أمولاي هذا نظم حرو تلوه كلام سجين أوثقته الأمرُ

فالشاعر يمثل نقطة هامة في تاريخ الصراعات الفكرية، حمل بأفكاره موضوع الحرية، العدل، المساواة.....

كما أن هناك مفكر وشاعر سجن لآرائه السياسية ومناداته بالحرية وهو " العقاد " والذي عرف بدعواته التحريضية الصريحة، ونقده الشديد الموجه إلى الحكام، مما عجل بدخوله إلى السجن، وقد أرخ " العقاد " لهذه التجربة في كتابه (عالم السدود والقيود).

¹ سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعصر، ص 49 .

وفي الأخير يمكن القول بأن موضوع شخصيات هذه الفترة الأدبية قد تنوعت وتعددت، وأنها أُلقيت جميعها تحت عنوان واحد هو المناداة بالحرية، ورفض الظلم والاستبداد ورفض الإذلال، وهذه الموضوعات يمكن الجزم بأنها السبب وراء سجن العديد من الشعراء.⁽¹⁾

ج (شعر السجون في الأدب العربي الحديث :

لقد كان للحياة السياسية أثر بارز في حياة الشعراء المعاصرين، فعبروا عن أفكارهم ومواقفهم بكل حرية، وهذا ما كان يراه الكثير من الحكام بأنه تمرد وخروج غير مشروع عن سياسة الدولة، فكان مصير هؤلاء السجن .

لقد تعددت موضوعات شعر السجون في هذه الفترة ،فكان من أهمها الظلم والذي تعدد هو الآخر، فكان الظلم الاجتماعي والفكري والظلم الإنساني والذي كان يحرم الشاعر من حقوقه .فكان هذا الظلم أحد مظاهر العبودية .

ولعل أكبر تجربة شعر السجون كانت في المغرب العربي، إذ أن الشعراء قد أنشدوا قصائدهم في ظروف قاسية دعت إليها نيران القهر والتسلط، فكان الكفاح الذي خاضه الشعب ضد المستعمر في هذه البلدان كفاحا مريرا، ولعل أهم تجربة شعرية، هي تجربة الكفاح الذي خاضه الشعراء الجزائريون ضد المستعمر الفرنسي .⁽²⁾

¹ عمر زيرق، شعر السجون في الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماستر ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة تلمسان، 2012 ، ص 11.

² سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعصر ، ص 173.

الفصل الأول

السجن في الشعر الجزائري الحديث

أولاً: شعر السجن في الجزائر

ثانياً: أهم رواد شعر السجن في الجزائر

ثالثاً: أبعاد شعر السجن في الجزائر

الشعر الجزائري الحديث :

إن المدلول الزمني للفظ (الحديث) بالنسبة للشعر الجزائري، يأتي في طليعة الأمور التي تحتاج لوقفة وتأمل، فمدلول هذه اللفظة بالنسبة للأدب العربي، وفي المشرق بالذات، قد يوغل في القرن الماضي إلى عهد محمد علي، وهذا العهد يصادف عندنا في الجزائر ظهور شخصية بطولية أدبية، هي شخصية الأمير عبد القادر.⁽¹⁾

فالحداثة في الشعر الجزائري الحديث ترجع إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر حين كان ارتباط الحركة الأدبية في المغرب العربي بالمشرق العربي قائما، وقد بدأت النهضة في الوطن العربي، عموما باستلهاام التراث العربي المشترك في عصور ازدهاره الأولى، منطلقة من إحياء أمهات الكتب، في هذا التراث والاستفادة من عناصر القوة فيه، إلى جانب ما بدأت تسهم به حركة الترجمة والنقل، والطباعة والنشر، والانفتاح على الثقافة الأوروبية عموما ⁽²⁾ .

وفي المشرق العربي نجد من رواد الحداثة "محمود سامي البارودي"، أما في الجزائر فالأمير عبد القادر هو رائد هذه النهضة الأدبية و الفكرية و نجد في شعر هذا الأخير أنه متصل بالتراث.

إن نسمات الحداثة قد بدأت تهب على ربوع الجزائر مع رياح النهضة، فتحركت النفوس وانطلق الأدباء يعانقون معطيات الحياة الجديدة، ويصورون قضايا الواقع ويعبرون عن تطلعات المجتمع، فكان العالم الذي يستولي على اهتماماتهم ويغلب على نتائجهم، إنما هو عالم الوطن وعالم الأمة وكل ما يتصل بهما ويتفرع عنهما من قيم ومقومات وقضايا واهتمامات وكان صوت الوجدان الجماعي لدى هؤلاء الأدباء أقوى من

¹ — صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 ، ص101.

² — عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث ، تاريخا قضائيا وأعلام ، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة

المركزية بن عكنون، الجزائر ، ط 2 ، ص 15.

صوت غيره في نفوسهم مما جعلهم يسخرون أعمالهم للنهوض بالواقع والتعبير عن قضاياها المختلفة (1) .

وتشمل هذه القضايا ما يلي:

- 1- الموضوعية في التعبير عن القضايا العامة للأمة أو الوطن.
 - 2- الدعوة إلى الانفتاح على الثقافة العربية والأوربية.
 - 3- الدعوة إلى اصلاح المجتمع وترقيته .
 - 4- الحث على مواكبة الثورة والدعوة إلى الجهاد.
 - 5- محاربة التغريب والمحافظة على الهوية الوطنية العربية .
 - 6- الحس القومي من خلال مشاركة الأمة العربية عامة بمختلف الأحاسيس والقضايا .
- أولا : شعر السجون في الجزائر :

ذاقت الجزائر مرارة الظلم وسيط الإرهاب من المستعمر الذي كان في مقدمة تطلعاته للقضاء على الشخصية العربية والإسلامية، والوضعية الجزائرية فوق الجزائريون ضد تنفيذ هذا المخطط عم طريق تقديمه لقربان أسطوري من الدماء والأرواح، كما سبق مئات الآلاف إلى السجون.

وإذا رصدنا تطور الأدب الجزائري في تلك الفترة، نجد أنه كان صورة للأوضاع العامة في الجزائر فكانت مواضيع الظلم والاضطهاد بارزة في شعر الجزائريين، وكانت مضامين الحنين والإغتراب والحرية حلقة من حلقات هذا الشعر، فقد تحكم الاستعمار الفرنسي في رقاب الشعب عندما آل إليه أمره وتصرف في حريته كما شاء، فحوّله غريب في وطنه داخل مساحة شاسعة من السجون والمعتقلات.

ولعل الشاعر مفدي زكرياء كان من أكبر الشعراء عطاء شعريا حتى سمي شاعر الثورة الجزائرية وقد قضى وقتا طويلا في السجون الفرنسية حيث يعرض في ديوانه "

¹ محمد بن سميّة، في الأدب الجزائري الحديث ، النهضة الادبية الحديثة، في الجزائر ، مؤثراتها بداياتها، مراحلها مطبعة، الكاهنة، الجزائر ، 2003، ص 91.

اللهب المقدس " الوان من العذاب والذل التي شهدها ،كما يعرض في المقابل عزيمة ونضاله الدائم ،فكان ثائرا قبل أن يكون شاعرا، فكان يدلي بموقفه الثوري الصريح، ويقول في قصيدته " زنزانة العذاب رقم 73 "، مبرز الكوارث التي بين جدران الزنزانة فيقول :

سيان عندي مفتوح ومنغلق يا سجن بابك أم شدت به الحلق
أم السياط بها الجلاذ يلهيني أم خازن النار يكويني فأصطقق
والحوض حوض وإن شتى منابعه ألقى إلى الفقر أم أسقى فأشرق

إن الأبيات ترينا صورة حزينة لمكان خاص يمزج بألوان العذاب، إلا أنه يبدو متحديا لا يأبه بهذه الآلام، وهذا الألم والعذاب هما السبيلان للوصول إلى الهدف الأسمى وهو الحرية والاستقلال⁽¹⁾.

الشعر الجزائري في السجون الفرنسية، حلقة في تلك السلسلة الطويلة الممتدة عبر الأجيال العربية التي كابدت الذل والغربة في أوطانها فقد كان الاستعمار متحكما في حرية الشعب الجزائري، فحواله إلى غريب في وطنه داخل السجون والمعتقلات والمحتشدات، والقراءة المتأنية للشعر الذي قيل بين جدران السجون تؤكد حقائق هامة:

1 - إن كثيرا من القصائد التي هي صورة هامة للذل والهون، ما تزال مجهولة الوضع، أو مفقودة، وأن المطبوع منها لا يخرج عن الدواوين المعروفة مثل : أحمد سحنون، محمد العيد، مفدي زكرياء، عبد الرحمن بن العقون.

2 - أن هذه الأشعار قيلت بين جدران السجن لا توازي عظمة الثورة الجزائرية وشساعة التعذيب الفرنسي شكلا ومضمونا.⁽²⁾

إن الشاعر المجدد (أبو القاسم سعد الله) كان من أكبر الشعراء حظا في استيعاب هذا الواقع المرير وأعمهم حسا، نظرا للثقافة الواسعة والعالية التي جعلته يقوم بتصوير

¹ - عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، منشورات جامعة، باتنة، 1997، ص 84 .

² - المرجع نفسه، ص 132،

واقع (الدم والموت) في سجن بربروس، هذا المكان الذي تحول إلى أسطورة ذكر وطوق يبدو في دموع اليتامى ونحيب الأمهات ،توقف سعد الله عند بربروس فهاله الموقف الرهيب فانطلق متسائلا :

أجب بربروس

أشعب تعذبه أم ذياب؟

أقلبا تحطمه أم حجر

وما ذا أنت الجحيم الذي لا يطاق .⁽¹⁾

وتتدرج قصيدة (بين جدران السجن) لرمضان حمود (1906 — 1929) حين اعتقل بسبب أحرار وطنية في غرداية مع بعض الوطنيين ،غير أنه لم يبق منها إلا أربع أبيات :

سمعت بأن السجن أضيق من قبر فألفيت قعر السجن من قصر

فماذا يفيد القصر والقلب حائر وماذا يضر السجن من كان ذا قدر

ومن لم يذق طعم الردى بنضاله سيشكو الأذى والدمع من عينه يجري

يعيش كئيبا حائرا دهره يرى من ظروف الدهر عسرا على عسر.⁽²⁾

ثانيا : أهم رواد شعر السجون في الجزائر :

أ (مفدي زكرياء: هو مفدي زكرياء الشيخ بن سليمان، ولد سنة 1908م في واحة بني مزاب بقرية بني يزقن، التحق بالكتاب ليحفظ القرآن الكريم ويتعلم ما تيسر من علوم الشريعة الإسلامية، وبعدها التحق بمدرسة السلام القرآنية والمدرسة الخلدونية وجامع الزيتونة ،واكب الحركة الوطنية بشعره وبنضاله على مستوى المغرب العربي، فانخرط في صفوف الشبيبة الجزائرية الدستورية، في فترة دراسته بتونس فأعتقل لمدة شهر ونصف، كما شارك مشاركة فعالة في مؤتمرات طلبة شمال إفريقيا، وعلى مستوى

¹ — عمر بوقرورة، المرجع السابق، ص 117.

² — محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 1 مطبعة النهضة، تونس، 1926، ص 76.

الحركة الوطنية الجزائرية مناضلا في حزب شمال إفريقيا فقادا من أبرز قادة حزب الشعب الجزائري، فكان أن أودع السجن لمدة سنتين 1937 – 1939 م، وبعد خروجه انخرط في أولى خلايا جبهة التحرير الوطني بالجزائر العاصمة، فأودع السجن مرة أخرى وبقي فيه ثلاث سنوات (1956 – 1959 م) وبعد خروجه فر إلى المغرب ثم إلى تونس للعلاج مما لحقه في السجن من آثار التعذيب، توفي يوم الأربعاء 17/أوت/1977م بتونس ودفن بالجزائر، له عدة دواوين منها: تحت ظلال الزيتون، وحي الأطلس، إلياذة الجزائر، اللهب المقدس الذي نظمت معظم قصائده داخل السجن. (1)

(ب) محمد العيد آل خليفة: ولد محمد العيد سنة 1904م في مدينة عين البيضاء، تلقى تعليمه الأول في التعليم الحر، ثم تابعه في بسكرة لينتقل بعد ذلك إلى جامع الزيتونة وعمره سبع عشر سنة، وبعد المدة التي قضاها هناك عاد إلى الجزائر من باب التعليم، فعمل معلما ومديرا لمدرسة الشبيبة الإسلامية.

عمل عضوا فاعلا في جمعية العلماء المسلمين، حيث أسهم فيها بشعره، حتى صار شعره في الصحافة العربية، فأضحى عرضة للتحقيق والاستتطاق والملاحقة من طرف السلطات الفرنسية، إلى أن انتهى به الأمر إلى السجن ثم الإقامة الجبرية. توفي رحمه الله سنة 1979 م، له ديوان محمد العيد آل خليفة يضم أكثر من خمس مائة قصيدة (2).

ت (عبد الرحمن بن العقون :

ولد بواد الزناتي سنة 1908م، تعلم القرآن الكريم، وتدرّب على كتابة الشعر والمقالات في مسقط رأسه، انضم إلى الحركة الوطنية وعرف السجون والمعتقلات إثر أحداث 08 ماي 1945م وفي بداية الثورة المسلحة أفرج عنه ليلتحق بالمشرق العربي عاملا في إطار جبهة التحرير الوطنية، فعمل بدمشق ثم سفيرا بالأردن حتى سنة 1964م

¹ – الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص 129.

² – محمد بن سميّة، محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر، 1989، ص 12.

ثم رجع إلى الجزائر ليعمل في سلك التعليم الذي بقي فيه إلى سنة 1973، ومن آثاره ديوان شعر المكافح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، وديوان من وراء القضبان، وديوان آخر باسمه يتضمن بعض القصائد التي نظمت داخل السجون الفرنسية⁽¹⁾.

ج) أحمد سحنون: ولد الشيخ أحمد سحنون عام 1907 م ببلدة ليشانة قرب مدينة بسكرة، وتولى والده الذي كان معلما للقرآن الكريم تعليمه، فحفظ كتاب الله وعمره اثنتي عشر سنة، كما تعلم مبادئ اللغة العربية والشريعة الإسلامية على يد مجموعة من العلماء أبرزهم : الشيخ أحمد خير الدين والشيخ عبد الله بن مبروك.

ومنذ نعومة أظافره كان الشيخ مولعا بكتب الأدب، وبعد اندلاع الثورة لم يتردد في مساندتها، مما أدى إلى سجنه عام 1959م، حاول المستعمر استغلال مكانته فطلب منه أن يحذر الناس من المجاهدين، لكنه لم ينصاع لأوامر المستعمر، حكم عليه بالإعدام ثم أطلق سراحه لأسباب صحية. وبعد نيل الجزائر استقلالها عين الشيخ إماما خطيبا بالجامع الكبير بالعاصمة، وعضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى، توفي رحمه الله في سبتمبر 2003م، كان الإنتاج الفكري والأدبي غزيرا، تنوع ما بين خطب ودروس، وإصدارات شعرية، صدر عنه ديوان عام 1977م بعنوان " حصاد السجن " وهو خلاصة للإشعارات التي كتبها في فترة سجنه، كما صدر له كتاب " دراسات وتوجيهات إسلامية " (2).

ثالثا: أبعاد شعر السجون في الجزائري

أ- **البعد الإيماني:** لقد كان الدين الإسلامي بمثابة الحصن المنيع والدرع الواقي للشعب الجزائري، لقد حاول الاستعمار الفرنسي تجريد الأمة الجزائرية من سيادتها وأصالتها، حتى يسهل إدماجها في كيائها إلا أنه بفضل الإيمان الراسخ و تجذر العقيدة الإسلامية في

¹ - عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،

2007، ص250.

² - المرجع نفسه، ص446.

نفوس الجميع، لم يفلح الأعداء في مسعاهم لأن جيل أول نوفمبر قادة كانوا أو جماهير كان لهم بالمرصاد، وذلك بفضل التضحيات الجسام التي قدمها في سبيل نصرة الجزائر وعزتها⁽¹⁾

وقد شكل التاريخ الإسلامي أكبر رافد لدى شعراء السجون لطول هذه الفترة وتعدد مراحلها وكثرة أحداثها و صراعاتها و دموية أغلبها، فمن الأحداث التاريخية الشهيرة نجد إشارات عابرة لكل من غزوة بدر و معركة اليرموك عند مظفر النواب.

وتتداخل عند مظفر النواب أحداث الردة بأحداث موقعة الجمل بأحداث كربلاء و غيرها من الردات المتجددة عبر العصور.

ومن خلال تتبعنا لمسار الثورة التحريرية ونهجها نلاحظ أن هذه الثورة في الأساس لم تكن قائمة على نظرية أو فكرة إيديولوجية، مستوردة من الشرق أو من الغرب، بل قامت على أساس الإسلام بكل مقوماته و أبعاده، ومن هنا لم يكن لمنظمي الثورة، وباعتبارها إلى وجود حاجة للبحث عن الإيديولوجية خارج الإطار الإسلامي عند قيام الثورة، لأن الإيديولوجية التي هي مفهوم يراد به العلم مجموعة من الآراء والمعتقدات، وهذه الأخيرة يراد بها العلم الذي يدرس الأفكار والاتجاهات من حيث نشأتها و أشكالها وأهدافها، وعلاقتها بالأمور الخارجية هي "إيديولوجية" أجنبية عن الإسلام، خاصة التي لا تؤمن بالدين⁽²⁾.

وكان الدين ولا يزال مصدر إلهام سخي لدى جميع الشعوب، لما يمثله الشعور الديني من أهمية بالغة في حياة الأفراد والجماعات، وإذا كان الشاعر عادة ما يستلهم أفكار وموضوعاته و صورة من الأشياء اللصيقة به ومن محيطه الخاص، فإن الدين يأتي في مقدمتها لما يحيط به من قداسة وإجلال تتفق عليها جميع الشعوب وإن اختلفت الأديان،

¹ عبد الكريم بو الصفصاف، البعد الإسلامي في ثورة التحرير الجزائري، مجلة البصائر الصادرة عن مكتب الطلبة، جامعة قسنطينة العدد 1، السنة 1، نوفمبر 1985، ص 13 .

² المرجع نفسه، ص 14.

استمد منه الشعراء موضوعاتهم وصورهم، على مر العصور، وحفل الأدب العالمي بالكثير من الآثار الأدبية العظيمة المتمحورة حول موضوع ديني أو شخصية دينية فقد كان الكتاب المقدس مصدرًا للشعراء الغربيين يستمدون منه الكثير من النماذج الأدبية، من شخصياته وقصصه، وفتن الرومنسيين منهم بالشخصيات الدينية المتمردة المطرودة كالشيطان وقابيل، وجعلوها نموذجًا للتمرد على كل ما هو عادي ومقرر ومفروض وعبروا عن تعاطفهم معها لما عانتها من عذاب ولعنة (1).

ومن أدبائهم من تأثر ببعض المصادر الدينية والإسلامية وفي مقدمتها القرآن الإسلامي ومنه في شعر السجون، فقد استحضر الشعراء من شخصياته وقصصه ونصوصه لإلقاء مزيد من الأضواء على الواقع العربي الذي طالما قاوموه ورفضوا مظاهر الاغوجاج كما استعانوا بالموروث التاريخي.

وتعتبر المدارس المنتشرة هنا وهناك، تحت رقابة وتوجيهية جبهة التحرير الوطني والتي أسست خصيصًا لتحفيظ القرآن الكريم وتدرّس علومه وسائر المعارف الإسلامية والعلمية وبعث الوعي الديني وتعميق المبادئ الوطنية وتعزيز روح الجهاد في الأوساط الشعبية، يأتي ذلك خير حجة على ذلك التوجيه الإسلامي الذي التزمته الثورة منذ اندلاعها، ويندرج في هذا المنظور أيضًا التزام قسم القضاء على جميع مستويات الثورة وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على كل الحالات التي تتطلب البتر والفصل مهما كانت قيمتها، بالإضافة إلى ذلك فإن تسمية الثوار بالمجاهدين وإطلاق لقب المجاهد على جريدة الثورة، وتسمية رجال الاتصال بالمسبلين الذي يعملون في سبيل الله، يعتبر هذا من أهم الشواهد على البعد الإسلامي للثورة الجزائرية (2).

¹ علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977، ص 75.

² عبد الكريم بو الصفصاف، البعد الإسلامي في ثورة التحرير الجزائري، ص 15 - 16.

ومن الأبعاد الإسلامية التي خلدها الشهداء والشعراء في الثورة وعبروا عنها، الدعوة إلى الصبر والثبات ورباطة الجأش، والمضي قدما في درب الجهاد حتى التحرير الكامل والنهائي للجزائر المجاهدة، ففي قصيدته "ذكرى رأس السنة الهجرية"، يدعو الشاعر "أحمد سحنون" السجناء الذين زج بهم الأعداء في غياهب السجون إلى الصبر والثبات أمام المحن والأهوال. وإلى نسيان الأهل والأحباب مادام الكل قد ثاروا فسجنوا في سبيل عزة الجزائر و استقلالها فيقول:

أيها المسجون لا تأس على ما تعاینه من خطب الشديد
لا تقل طال حنيني للحمى لا تقل طال اشتياقي لوليدي
من يكن يعرف ما يطلبه هان ما يبذل فيه من جهد
ثمرة الجهد الذي تبذله أن ترى شعبك خفاق البنود
فترقب عيد تحرير الحمى فهو في تاريخه أعظم عيد
وأحمد الله على الجهد الذي حرر الأوطان و اهتف بالنشيد⁽¹⁾

ويدعو الشاعر الله خشية وتضرعا، أن ينصر عباده، وينقدهم من الضيقة التي هم فيها فيقول:

رب هبنا نصرا فإننا طلبنا ثمن النصر بالنجيع القاني
رب لم يبق مشرقا سوانا فهب لنا العتق للأسير العاني
فاستعباد الإنسان يا رب لا تقوى عليه طبيعة الإنسان.⁽²⁾

فقد كانت الأعياد الوطنية أفضل مناسبة عند العديد من الشعراء الجزائريين، يستلهمون منها الدروس والمواعظ ويحثون فيها الثوار على المضي قدما في درب النضال وفق تعاليم الإسلام وروح الجهاد، ومما نلاحظه في سير هو أن أغلب الأشعار التي قيلت في "المولوديات" على سبيل المثال، يغلب عليها التوجيه الإسلامي والبعد الديني.

¹ أحمد سحنون، الديوان، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975، ص 204.

² المصدر نفسه، ص 106.

ويبرز "مفدي زكرياء" بعض الشمائل والمناقب الحميدة التي يدعو إليها الإسلام كالتحلي بالعدل و التزام الصدق و مكارم الأخلاق فيقول:

ونحن العادلون إذا حكمنا سلوا التاريخ عنا و الكتابا
ونحن الصادقون إذا نطقنا ألفنا الصدق طبعاً لا اكتسابا
وعن أجدادنا الأشراف انا ورثنا النبل و الشرف اللبابا
كرام للضيوف إذا استقاموا بسطنا في وجههم الرحابا.⁽¹⁾

فالشاعر يريد أن يذكر بأن الثورة الجزائرية في أساسها مبنية على جملة من القيم والمبادئ الإسلامية، وأن ما يصدر عن الثورة من سلوكات وممارسات يندرج في المنظور الإسلامي ويتوافق ونهج السلف الصالح القائم على الاستقامة وحسن التدبير والمعاملة الحسنة، ويكشف الشاعر عن الصراع القائم في الجزائر بين الإسلام والصليبية، مبينا بأن المسلمين على خلاف المسيحيين لم يكونوا في يوم من الأيام يسيئون و لو في عقر دارهم إلى الأديان الأخرى، و إلى ما هو مقدس عند معتققيها فيقول:

ونحترم الكنيسة في حمانا ونحترم الصوامع و ألقابا
وكان محمد نسبا لعيسى وكان لحق بينهم انتسابا
وموسى كان يأمر بالتآخي وحذر قومه مكرا و عابا.⁽²⁾

ومن ملامح البعد الإسلامي للثورة أيضا، هو شعور المجاهدين وهم يقاتلون الأعداء بهذا الدعم الإلهي ونصرته لهم، كما نصر نبيه صلى الله عليه وسلم.
و قوله مفدي زكرياء:

نادى المنادي إلى التحرير يدفعها فاستصرخت من قيود الحجر تنعتق
ثارت على الظلم مثل السيل الجارفة فلا الفيالق تثنيها ولا الفرق
جيش إلى النصر تحدوه ملائكة مسومون بموج الموت يندفق⁽³⁾.

¹ مفدي زكرياء، اللهب المقدس، منشورات التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، ط2، ص 38، 39.

² المصدر نفسه ، ص39.

³ المصدر نفسه ، ص31.

إن جذوة الإسلام عقيدة وحضارة ظلت بالخصوص في الشعر الجزائري علامة بارزة تؤكد الاعتزاز بهذا الدين والإخلاص لهذه العقيدة عملاً وقولاً، كما ظلت معينا روحيا يستمد منه الشعراء القيم الخالدة والمثل العليا التي يحاولون بعثها في نفوس أبناء الشعب الجزائري في اللحظات الحالكة التي لحقت بهم في كفاحهم لتشد من عزائمهم في جهادهم الخالص لوجه الله و الوطن (1).

إن الشعر الديني الذي كتبه الشعراء في أثناء الثورة وقبلها لم يكن يواجه حركة التبشير والتتصير وحدها ومحاربة الطرقية والمشعوذين فحسب، ولكنه كان عاملاً من عوامل التعبئة من أجل الجهاد والكفاح، باعتبار أن ما شنته فرنسا على الجزائر كان في بدئه و منتهاه يعيد إلى الأذهان ما عرفناه أثناء الحروب الصليبية القديمة.

ونخلص إلى القول بأن الثورة الجزائرية في أهدافها وخطتها كانت قائمة على مبادئ الإسلام والشرعية السمحة، وأن مواثيق الثورة ووثائقها المختلفة وشهادات وروايات المجاهدين ما ضاع منها وما بقي، تشهد أن الإسلام غداة هذه الثورة يمثل بعداً أساسياً فيها وفي مبادئها وأهدافها، قد كان التعلق بموضوع الجهاد والشهادة والإيمان والصبر والثبات وغيرها كما بينا ذلك من خلال الشواهد الشعرية كان دليلاً قاطعاً على أن الثورة الجزائرية ثورة إسلامية بكل ما للكلمة من معان وأبعاد، وإذا كنا لم نطل في تقصي الشعر الديني الخاص بالثورة فإن بعض الباحثين عرضوا له بالدرس والمناقشة، ثم إن دراسته تحتاج إلى دراسة تحتاج إلى دراسة كاملة نظراً لمادته الغزيرة، حتى أنه يمكن القول أنه ما من شاعر إلا له قصائد أو أبيات تكثر أو تقل تحدث فيها عن الدين الإسلامي ودوره في الثورة (2).

¹ محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري في تونس، المؤسسة الوطنية للترجمة و التحقيق و الدراسات، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991، ج1، ص 75.

² مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في المغرب العربي، (1954، 1962)، دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، 7، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1998، ص 275.

ب- البعد الوطني:

إن البعد الوطني الذي نود الكشف عنه في هذه الدراسة، فكلمة وطن: تعني في اللغة مكان إقامة الإنسان ومقره، ولد به أو لم يولد، وقد عبر عن الكلمة في الشعر العربي بألفاظ ومصطلحات متعددة تختلف بحسب دلالتها المكانية، ومن معاني الوطن أيضا، بقايا أماكن السكن كالأطلال والدمن والآثار و الرسوم (1).

وفي الاصطلاح الحديث، فكلمة وطن تعني القطر الذي ينتسب إليه من حيث جنسيته، وأما الوطنية فيراد بها ارتباط الفرد بوطنه وتعلقه به، باعتباره مثنى أبائه وأجداده وبالمقارنة مع مدلول الوطن ومدلول القومية، فإن كلمة الوطن أضيق في مفهومها من كلمة القومية التي تعني الأمة، أي أن كلمة "الأمة" يمكن أن يتسع معناها فيشمل أكثر من وطن مثل القومية العربية(2).

إن نظرة القدماء للوطن ظل معناها محصورا في النزول والإقامة في المكان لأن العرب في ذلك العهد كانوا سادة في ديارهم، فإذا تشوقوا أو تعلقوا بالأوطان، فلأنها بعيدة عن العين أو لأنها أثارت ذكريات الطفولة المحببة، وهذا ما جعل المطالع العربية الطلية للقصائد المتضمنة موضوع الوطن التي تردد فيها أصداء فقدان الأهل والأقارب والمواطنين والحنين للأماكن المهجورة، تحمل معاني جديدة، متولدة تحت تأثير الشروط الجديدة للحياة، لا سيما استقرار العرب في أماكن منفصلة متميزة عن الصحاري(3).

والوطنية والقومية التي مصدرها الوطن تعتبران أهم النزاعات الاجتماعية التي تربط الفرد البشري بالجماعات، ومن المعلوم أن الوطنية هي حب الوطن والشعور بارتباط باطني نحوه، كما أنها ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الأمة، لذا فمفهوم

¹ إبراهيم السولامي، الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، (1912-1956)، دار الثقافة، مطبعة النجاح، دار البيضاء، المغرب، 1947، ص65.

² وهيب طنوش، الوطن في الشعر العربي، منشورات جامعة حلب، كلية الأدب، مديرية الكتب و المطبوعات، 1979، ص 379.

³ المرجع نفسه، ص391 .

القومية لا يختلف عن مفهوم الوطنية، ومن هذا فإن البعد الوطني لا يقتصر عن مفهوم الوطن وما يرمز إليه (1).

وبما أن البعد الإسلامي والعروبي والقومي تعد في طبيعة الأبعاد التي تتدرج في منظور الثورة بعد البعد الوطني، فإن الشعراء الذين تجاوبوا مع الحدث لم يكن لهم اهتمامهم موقوفا على البيئة المحلية أو المجتمع وحده، وإنما اهتموا بالحديث عن الوطن والعروبة والشرق، كل هذا في إطار الدين الإسلامي، فالوطن و القومية والدين كلها تعني أمرا واحدا، و لعل الحس التاريخي هو الذي فرض عليه الرؤية، او ان الضغط الاستعماري جعل الشاعر يرى رؤية شاملة للتححرر، فالوطن لا يتحرر إلا إذا رجع إلى قوميته ولا يعلو شأنه إلا إذا اعتمد على الدين الإسلامي.

ولعل الشيخ عبد الحميد باديس وهو يشرح معنى الوطن، ويدل على أبعاده في مقولته الشهيرة والمشهورة "لمن أعيش" أكثر من أثر في نفوس الأجيال، وفي وعي الشعراء حيث يقول: "أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية المستمدة منه مباشرة ... وأوصلنا إليها النفع والخير عن طريق خدمتنا لوطننا الخاص، وأقرب هذه الأوطان إلينا هو المغرب الأدنى والمغرب الأقصى اللذان هما إلا وطن واحد لغة و عقيدة و آداب و أخلاقا وتاريخا ومصلحة ثم الوطن العربي الإسلامي ثم وطن الإنسانية"(2) إن الوطنية في الجزائر كانت دوما الصخرة الصماء التي تحطمت عليها عبر تاريخ الجزائر المعاصر منه و القديم، والوطنية مثلما يدعي البعض ذلك لم تكن تقوقعا داخل حدود الرقعة الجغرافية الواحدة لهذا الوطن.

إن المتمعن في تاريخ الجزائر على امتداد مراحلها المتعاقبة يتولد لديه اقتناع قوي أن الجزائري الأصل لم يكن يفرق عندما يشعر بوجود خطر خارجي يستهدف الوطن.

¹ وهيب طنوش، الوطن في الشعر العربي ، ص28.

² عمار طالبي، ابن باديس (حياته و آثاره)، دار مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ص 236-237.

فقد كان المجاهد الأوراسي أو أي مجاهد من أقصى الوطن، تجمعوا تحت شمس الصحراء يتقاسمون الموت، لذا فالواحد منا لا يمكن أن ينسى الصور الجميلة للمجاهدين واللاجئين، وهم يعودون إلى الوطن جماعات جماعات مع فجر الاستقلال، وكان الجميع سيتقبلهم بأحضان دون أن يعرف الواحد منهم الآخر، لأن وحدة الوطن كانت في القاسم المشترك بين أبناء الوطن.⁽¹⁾

إن شعراء المغرب العربي بعامة وشعراء الجزائر خاصة يتجاوبون مع أحداث الثورة الجزائرية، ولم تكن فكرة الكيان والوطن الجزائري في مفهومهم منفصلة بأي حال من الأحوال عن قضية التصاق هذا الكيان بجنون العربية الإسلامية، بل كانت الدعوة إلى كيان جزائري مستقل في نظرهم تعني في حقيقتها وبعدها عودة إلى ذلك التاريخ العربي الإسلامي وذلك التراث بكل مقوماته والذي حاول الاستعمار بكل الوسائل القضاء عليه، ومن هذا المنظور فإن العديد من شعراء المغرب العربي الذين تجاوبوا مع الثورة الجزائرية كانوا حريصين في شعرهم على إيصال الماضي بالحاضر، وفي الوقت نفسه كانوا يعبرون عن سخطهم على الحاضر لأنه لا يمثل الماضي تمثيلاً ناجحاً. ويتجلى البعد الوطني للجزائر المتمسكة بأصالتها وشخصيتها في أكثر من مظهر حضاري وتاريخي، فهذا الشاعر الجزائري أبو الحسن ابن صالح، يصرخ في وجه فرنسا غداة الثورة التحريرية بأن الجزائر ذات عزة و يقول:

فرنسا اعلمي أن الجزائر أمة بأمجادها بين الشعوب تفاخر
لقد نشرت في الغابرين حضارة وهذا فم التاريخ متن و شاكر
جزائر شعب أيي شعاره هو السلم والإسلام روح مباشر
جزائرنّا شعب الهدى متمدن له من قديم في المعالي مفاخر.⁽²⁾

¹ محمد بوعرارة، الوطنية المعاصرة، جريدة السلام، الجزائر، 2 ماي 1991، ص 12.

² محمد صالح الجابري، الوعي القومي والديني عند الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس، مجلة الفكر، العدد 7، السنة 30 أبريل 1985، ص 32.

و "مفدي زكريا" ينشد بالسياسة المعتمدة من قبل الثورة من أجل الشمل وضم الصفوف التي شنتها الاستعمار حتى لا تصل متصعدة فيقول:

فلم تصارع و الزمان فلم يجد فيه الزمان و قد توحّد مطمعا
واستقبل الأحداث منها ساخرا كالشامخات تمتعا وترفعا
وأراد المستعمرون عناصر فأبى مع التاريخ أن يتصدعا.⁽¹⁾
و يعد مفدي زكرياء عوامل التوحيد و التضامن بين أبناء الجزائر فيقول:
نحن في هذه الجزائر اخوان جراحتنا الثخينة حمرا
لحمة الضاد والعروبة والتا ريخ و الدين: أي ربك كبرى
وهواها وماؤها وسماها و ثراها الزكي شبرا فشبرا.⁽²⁾

وإلى جانب تلك الأبعاد الوطنية الموحدة للشعب: كالبعد اللغوي والعروبي والتاريخي والديني، فالشعر يضيف بعدا آخر وهو صرخات الجدود: "المتعالية في القبور، المناذية بإدراك ذلك الخطر والوقوف في وجهه، وإصلاح ذات البين، مما يشكل الوحدة التي يتوقف عليها الانتصار".⁽³⁾

وتحقيق الاستقلال وهو الأمر الذي سيجعله الله مصيرا، و في ذلك يقول:

فاسألوها تجبكم من حشاها صرخات الجنود تنذر شرا
وتنادي، أليس فيكم رشيد يدفع اليوم، منكر القول جهرا
أصلحوا ذات بينكم و استقيموا إن فعلتم: سيجعل الله أمرا.⁽⁴⁾

وتعتبر الوحدة الترابية إلى جانب وحدة الشعب في طليعة الأبعاد الوطنية التي دفع الشعب الجزائري من أجلها ثمنا غاليا ويكفي أن نعرف أن فلسفة الثورة التحريرية منذ

¹ مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص 59.

² المرجع نفسه، ص 237.

³ يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء، دراسة فنية تحليلية، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، الجزائر، ص 97.

⁴ مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص 283.

البداية ظلت قائمة على هذين البعدين، لأنه دون تحقيقهما تبقى سائر الأبعاد الأخرى مجرد أحلام.

والوطن الجزائري عند الشاعر أحمد عروة يجب أن يظل محل تقديس و احترام لأن تربته الطاهرة قد خضبت بدماء الشهداء الممزوجة بدموع الجميع في أسلوب ضعيف،

تقدس هذا التراب الكريم فكم من دماء به و دموع

حتمه بأرواحه الطاهرات قلوب مشبعة بالولوع.⁽¹⁾

ومن الأبعاد الوطنية التي يعكسها الشاعر، هو وقوف الجميع صفا واحدا كالرواسي الثابتة دفاعا عن الوطن، وتلبية لواجبه، واستغلال ثرواته وإرضاء قاعدة قوية لنهضة اقتصادية في شتى المجالات، وبذلك يتجسد المفهوم الحقيقي للاستقلال السياسي، وفي نثرية واضحة أثرت في موسيقى الشعر و إيقاعه:

وإن هو يطلبنا للفدا فنحن جنود له و دروع

سيعرفنا من كان باغيا جبالا رواسي و حصنا منيع

سنخرج من أرضنا ثروة معدن تبرز للثابتين

ونبدع من قطرها قوة وفنا و علما وصنعا متين⁽²⁾

فالبعد الوطني لا يقف عند حد استرجاع الجزائر سيادتها ووحدتها الترابية والشعبية، بل يتعدى إلى إعادة بناء الجزائر وتشبيدها في مختلف المجالات بما فيها المجال العلمي والاجتماعي والاقتصادي.

وبالتالي فالمواجهة والرفض الحقيقي للاستعمار، ولم يخل وطن من مقاومة الاحتلال وفي طليعة هذه المقاومة الشعراء الذين تحملوا في سبيل وطنهم الاضطهاد والقمع والسجن والنفي، والمتأمل لسير شعراء السجون وحصاد شعرهم يلاحظ أنهم جميعا ذاقوا مرارة السجن لأسباب سياسية وطنية.

¹ أحمد عروة، ذكرى و بشرى (من وحي الثورة الجزائرية)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 22-23.

² المرجع نفسه، ص 24.

ويكفي أن نذكر قصائد مفدي زكرياء التي يرددها في الزنانات، تتحول بأمر القيادات إلى أناشيد تتلى في مناسبات معينة مثل نشيد الشهيد الذي صار السجناء يرددونه ويرددون به أكان السجن كلما اعتلى أحدهم الجلجلة.⁽¹⁾

ولعل القضية التي شغلت الشاعر هي قضية الحرية فكان يريقها وسحرها في فكره وفنه لارتباطها بحياة الإنسان و تأثيرها المباشر في حياته، فلم تعد الحرية حق يجب أن يعطى بل هي كما يقول مالك حداد واجبا⁽²⁾، فعلى الأديب أن يبذل ما في وسعه من أجل الظفر بها، إنها الشيء الوحيد الذي ليس لنا الحرية في التخلي عنه⁽³⁾، وبمقدار ما يملك الإنسان من حرية يملك من حياة، إذ يقول عبد الحميد بن باديس: "حق الإنسان في الحرية كحقه في الحياة، بمقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية"⁽⁴⁾، ويشهد الأقسام أن الكفاح من أجل الحرية، وأن تاريخ الإنسان هو تاريخ الحرية، فليست الحرية إلا مرادفة للإنسانية⁽⁵⁾.

ومما سبق نستخلص أن التعلق بالوطن والارتباط به والحنين إليه ظاهرة يشترك فيها كل الناس منذ أن عرفوا قيمته وأدركوا بأنه مصدر الوطنية و القومية، وإذا كان في مقولة ابن باديس، وهو يشرح معنى الوطن ما يشفي غليل الباحثين عن ذلك، فإن سر نجاح المقاومة الجزائرية عبر تاريخها الطويل يعود في الأساس إلى التمسك بالوطن، وما ثورة أول نوفمبر الخالدة إلا تنويع لتلك الروح الوطنية، والتي تعززت أواصرها أكثر من ذي قبل، و لعل في الشواهد الشعرية التي مرت بنا ما فيه الكفاية حول تبيان أبرز الأبعاد الوطنية للثورة الجزائرية مثل البعد الوحدوي بكل صورة وأشكاله والبعد القائم على

¹ مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص 84.

² مالك حداد، الحرية و مأساة التعبير لدى كتاب الجزائر وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1961 ص28.

³ سليم ناصر بركات، مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث-دراسة دمشق، ط2، 1984، ص 26.

⁴ محمد الميللي، ابن باديس وعروبة الجزائر، دار العودة، بيروت 1973، ص46.

⁵ علال الفاسي، لجنة إحياء التراث زعيم التحرير، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، ماي 1977، ص 8.

التمسك بعروبة الوطن والأرض والتضحية في سبيلها وسبيل وحدتها ووحدة شعبها والعمل على بنائها و تعميرها في مختلف مجالات الحياة.

كما أشرنا إشارة فحسب إلى اهتمام الشعراء بالموضوع لأنه يعبر عن إحساسهم القوي بالوطنية وبانتمائها إلى أرض وتاريخ وهوية، وهي تحكي حبهم للوطن وتفردته وتميزه ورفضه للاندماج في وطن أجنبي عنه بحيث عمق الشعور بين إحساس المواطن بهذا الوطن وبماضيه و عمق الارتباط به والكفاح من أجل بقائه و استقلاله (1)

ج- الإخوانيات:

إن انفتاح شعراء السجون على السياسة وانشغالهم بالجوانب الوطنية وإغراقهم في عوالم الرفض والقوة، واندفاعهم في حظوظ النضال السياسي، وهذا لا يعني إلى التواصل مع الآخرين و بناء علاقات متنوعة، وهي حاجة حيوية عند الإنسان تنمي إحساسه بذاته وتشعره بوجود إنساني. (2)

ولكن السجن وقف حائلا بينهما وبين نزلائه فاستسلم بعضهم لقواتبه الجائزة الضاغطة وإنتابهم حالات من الخمود والكآبة والفتور، وكان منهم الشعراء اللذين لم تلغ الجدران والحواجز والحراس والقيود، وكل أعداء داخل السجون لشلل حركة السجين رغبته في التواصل مع الآخرين بالأهل والأحباب والأصدقاء لأن الإنسان إذا حرم من شيء مرغوب فيه أكثر مما كان يمتلكه. (3)

وتعرف السجناء من خلال السجن على الزمن واتخذوه ساعاتهم المفرقة بين الليل والنهار فقد حاولوا التكيف مع طقوسه بأساليب إن دلت على شيء فإنما تدل على صمود الشعراء وتحديهم روتين السجن، لأن السجن يقوم أساسا على حرمان من الحرية، و لان

¹ مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في المغرب العربي، (1954، 1962)، ص225-226.

² محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة 1985، ص47.

³ جان كاز ونوف، سيكولوجية أسير الحرب، ترجمة عدنان سبعي و خليل شطا، دار دمشق للطباعة و النشر، سوريا، دار لبنان، ط1، 1983 ص37.

حرمان إلى جانب من جوانب الحياة وحاجياتها الأساسية يدفع بصاحبه بالضرورة إلى تعويض محتوم.⁽¹⁾

وكان الشعر أول جسر للتواصل بالأهل والأحباب يقضون إليهم ويصبرونهم يمتطون إليهم الأحلام كنوع آخر من التعويض، لأن الحلم لا يقدم للمعتقل أو السجين مشاهد من عالمه، ولكنه يقدم له رؤى تحمله إلى ما بين أسرته و إلى بلاده، بالقرب من أصدقائه ومعارفه، فهو يجد نفسه حاضرا في كل ذلك الماضي.⁽²⁾

وفي كثير من الأحيان لا سيما في المعتقلات والمحتشدات والزنازين ينشئ السجناء مجتمعات أخرى صغيرة بديلة عن مجتمعهم المفقود ويصنعون نظاما داخليا يتقاسمونه ولكن التآلف والحاجة صنعناه بعفوية وتلقائية.⁽³⁾

حيث نجد في سجينات "أحمد سحنون" قد خفق قلبه في وحشة لياليه وقسوة أيامه، بقصائد تتوثب بعاطفة الأبوة حيث يثور الحنين إلى فلذات الأكباد فلا حياة له بدونهم.

ما بين أولادي يقيم فؤادي لا خير في عيش بلا أولاد
أبني ما ذكر يمر بخاطري لسواكم في يقظتي ورقادي
قد عشت ذكركم نجي مشاعري و غداها في غربتي و بعادي
فارقتم فإذا الحياة جميعها في ناظري قد جللت بسواد .⁽⁴⁾

ويقول الشاعر "عبد الرحمن بن العقون" داخل سجن بربروس معبرا عن حنينه إلى الأهل و الديار:

الأهل من الوادي الحزين لنا قرب وهل في دياجي البين عن قرיתי قرب
مربع لهوي في صباي عشقتها وفيها السابق الهوى خفق القلب

¹ جان كاز ونوف، المرجع السابق ، ص15.

² المرجع نفسه ، ص48.

³ المرجع نفسه، ص50.

⁴ عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر (الشعر وسياق المتغير الحضاري)، منشورات جامعة باتنة، دار الهدى، عين مليلة الجزائر ص 49.

بها رفرفت نحو المعالي مطامعي وفيها لسابق الهوى خفق القلب.⁽¹⁾

ومنه نستخلص أن السجن تحول إلى نادي أدبي وفكري ومدرسة علمية حيث قادنا الشعراء إلى الأسرة حيث دفئ العلاقات الأسرية و سمو المشاعر وحيث المودة والمحبة بقي لنا أن نتساءل هل وجد الشعراء الحبسيات درتهم المفقودة وهل وجدوا في هذه الفضاءات الأسرية ما ينشدونه من أمن واستقرار وهل تحققوا حقا من أوزار السجن وأثقاله كما أن في السجن كانت تلقى محاضرات عامة في الاقتصاد كان يلقيها دكاترة متخصصون من السجناء وآخرين في التاريخ وكذلك في الفلسفة.

¹ عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر ، ص53.

الفصل الثاني

شعر السجون في الجزائر "دراسة موضوعية وفنية"

أولاً: مواضيع شعر السجون في الجزائر

ثانياً: خصائص شعر السجون في الجزائر

ثالثاً: المعجم الشعري لشعر السجون في الجزائر

رابعاً: مصادر الصورة الشعرية لشعر السجون في الجزائر

خامساً: الموسيقى الشعرية لشعر السجون في الجزائر

أولاً: المعجم الشعري لشعر السجون في الجزائر:

المقصود بالمعجم الشعري هنا هو مجموعة الألفاظ الأساسية المشكلة لشاعرية الشاعر ثقافياً وحضارياً، والمعجم بهذا المعنى يصبح عنصراً فاعلاً في عملية الإبداع الفني، فلا يستطيع الباحث أن يتجاهل الحديث عنه إذا أراد أن يعرف سر اللفظة المستعملة، ومدى إفصاحها عن تجربة الشاعر وقدرتها على اختزان طاقات دلالية وإيحائية وتعبيرية وموسيقية، فاللفظة هي التي تحدد شخصية الشاعر وأفكاره وهي التي تعبر عن حقيقة مشاعره وصدق أحاسيسه.

والشاعر الأصل - كما يرى النقاد - هو " ما كانت ألفاظه تتضح بالقيم، فتتقطر من ألفاظه الموسيقى، والمعنى، والذاكرة، والبساطة والزخرفة، والصورة، والفكرة، والتركيز الغنائي والعبارة الصريحة، والكناية واللون، والضوء والقوة"⁽¹⁾

كان معجم هؤلاء الشعراء قديماً يمتد طاقة من القرآن الكريم، والشعر العربي القديم وما يتعلق بالأثر الإسلامي من شخصيات دينية، وتاريخية، وعوالم والقارئ لنماذج الشعر العربي الحديث لا يجد صعوبة في إدراك ذلك.

و هناك عدة أسباب تقف وراء هذا الاهتمام:

1- الثقافة العربية الخالصة لهؤلاء الشعراء، فقد دفعهم المناخ الثقافي المسيطر إلى غاية محددة هي "التمكن إلى حد المستطاع من المادة التي أنتجتها الأجيال السابقة"⁽²⁾ و تتمثل في الأمالي والأغاني والحماسة وفي دواوين الشعراء الفحول مثل: المتنبي والبحتري وابن الرومي وابن زيدون وغيرهم وكتب الدين والفقه وما يتفرع عنها من شروح وتفسير فكانت هذه المصنفات بلغة سليمة فصيحة فحرسوا على التمسك بها، وعضوا عليها بالنواجذ.

¹ إليزابيت درو، الشعر كيف نفهمه ونندوقه، ترجمة د. إبراهيم الشوس، مكتبة مذيمة، ص 233.

² كمال نشأت، أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث، دار لكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة،

2- الإقبال على اللغة العربية باعتبارها لغة دين، ويشمل هذا السبب شعراء الإصلاح فالاحتفاظ بأصولها وقواعدها والاحتياط في صيانتها من التطور، فشعراء الإصلاح باعتبارهم رجال علم وفكر ديني إصلاحي رأوا في اللغة أمرا مقدسا لأنها لغة القرآن، فالتجديد فيها أو الخروج عن مقاييس القدماء أو الثورة على قوالبها يعد خروجاً عن المقدسات.

3- تعاملهم مع القاموس اللغوي استجابة لدعوة لها أبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية ورد فعل تلقائي لواقع كان يعيشه المثقف العربي في غمرة إرهاب ثقافي.⁽¹⁾

هكذا أصبحت العناية بالقاموس القديم - من طرف هذا الجيل - مقصودة، إذ الملاحظة أنهم أحسوا فعلا بغربة اللغة العربية داخل وطنها كغربة أنفسهم، فهي لم تتجاوز حلقات التدريس وأجواء المناسبات الدينية الضيقة التي لا تشكل أدنى خطر على الاستعمار، فلغة الحكم هي فرنسية ولغة الشعب هي العامية، ولهذا كان الحرص وكان هذا التقليد، وكأنهم بذلك يريدون القول أن اعتناق غيره هو الانفصال عن التراث العربي والسقوط في الاستيلاء والتغريب. وانطلاقاً من هذا ندرك أن أغلبية الألفاظ والرموز التي تعبر عن غربتهم وحنينهم، هي مستقاة من التراث الإسلامي والتاريخ والشعر العربي القديم.

ويعد القرآن الكريم المصدر الأول لشعراء السجن في الجزائر، فقد عاشوا منجذبين إليه، ومستمدين منه أفكاره الأساسية ولغتهم الشعرية، وتدور هذه اللغة في محاور أساسية هي:

هجر الواقع الرديء الذي يقف دون أن يرتقي الإنسان بإنسانيته، ونبذ الأخلاق الفاسدة، والفكر المتخلف والضمير الميت والاعتزاز بالوطن والحنين إلى الحرية والاعتناق. وقد سلك هذا السبيل (محمد العيد وأحمد سحنون ومفدي زكرياء وعبد الرحمن بن العقون...).

¹. عبد الله الركبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1981 ص91.

فهم شعراء لاقوا الكثير من المتاعب في سبيل الحفاظ على تراثهم الحضاري وهويتهم العربية الإسلامية.

أ- المعجم الديني:

إذ نجد في قصيدة (الليل البهيم) للشاعر "عبد الرحمن بن العقون" علاقتان أساسيتان تصلان الشاعر بالمصدر القرآني، الأولى روحية حيث اتخذ من المفهوم الشامل (سورة القمر) الذي هو (الزجر و الوعيد) منطلقا للتعبير عن رفضه للواقع المستكين، أما العلاقة الثانية فهي علاقة اللفظ ومنها (النذر، أدهى وأمر، مقتدر، نكر، سقر).

ويعد "مفدي زكرياء" أكثر شعراء السجن العناية إلى توظيف المفردات القرآنية، إذ عدت سجيناته متفردة على أي إنتاج جزائري آخر ففيها هذه الألفاظ القرآنية (صياصيك، زلفى إلى الله، الليل سجي، الكواكب، القاصرات، الذاريات، الغافلات، المراضع، زقوما، غسلينا، زلزلت الأرض زلزالها، إن ربك أوحى لها).⁽¹⁾

واقترابه من المعجم القرآني لا يقف عند الألفاظ فحسب بل يتعداها إلى الصيغ والآيات التي أخذت بشيء من التحوير فينشد قائلا:

وفي صحرائنا جنات عدن بها تنساب ثرواتنا انسيابا
وتحت خيامها انحبست عيون لها "هاروت" قد سجد احتسابا
وتحت خيامها انحبست عيون أسالت من فم الدنيا لعابا
وإن أمة وسط نصافي مودتنا الألي قالوا صوابا
وخضناها ثلاث سنين دأبا فأصبحنا من التحرير قابا.⁽²⁾

يتضح من الأبيات السابقة مدى استيعاب الشاعر للنص القرآني إذ جمع أربع سور في أبيات معدودة، ولكنه لم يتوجه بالمعنى وجهة جديدة فتوظيف هذا المعجم لا يعدو أن يكون مجرد إعجاب شخصي بالعبرة الموروثة والتي تحولت إلى نسيج في الذاكرة.

¹. عمر بوقرورة، الغربية والحنين في الشعر العربي الحديث، ص 196.

² مفدي زكرياء، اللمع المقدس، ص34.

أما "أحمد سحنون" هو الآخر عاد إلى المعجم القرآني، في نجواه إلى ربه كي يخلصه من غربته فكان معجمه أقرب إلى النثر لأن أحمد سحنون زواج المعجم القرآني والأداء العامي:

رباه لم تبق لنا حيلة ومالنا حول ولا قوة

وما لنا غيرك من عاصم يعصمنا من هذه الهوة.⁽¹⁾

و نجد الشاعران "أحمد سحنون" و"محمد العيد" أكثرهم تعبيراً من مثل هذا المعجم في فترات العزلة، والاعتراب الروحي والفكري، فشاع عندهم هذا المعجم الديني(المباح، الحرام، الصبر، اليأس، الروح، النفس، الأوزار، الضلال، الدرك الأسفل، الشر المستطير، الجنة، النار، الزبانية، خازن النار، ملكوت الله، الشهداء...)

ولعل ما لم نذكره أيضاً أن هناك الكثير من القصائد للشاعر "أحمد سحنون"، مثل قصيدة ليلة الشك، ذكرى بدر، ذكرى نزول القرآن ويالها من ليلة، وهي قصائد دينية عاد إليها الشاعر لنظمها وذلك لقيمتها العملية ولعلاقتها بالمجتمع الجزائري. فالغاية من ورائها كان الوصول إلى إحداث تغيير في الأوضاع والتمهيد لإعادة بناء مجتمع إسلامي أفضل، فالشاعر حين كان يسرد أحداث هذه المناسبات الدينية، كان يختم قصيدته بدعوات إصلاحية، حيث كان ينادي بضرورة الرجوع إلى الدين و السنة من أجل تحقيق النصر وفي صياغته لقصيدة الإسراء والمعراج نجده يدعو إلى التفاني وتقديم التضحيات لأنها أساس النهوض والتطور والازدهار.

هذه الليلة من أمجادنا

سرّها كالروح في أجسادنا

ذكرها يوحى إلى أولادنا

إننا أمة لا تهرم

هذه الليلة قد غاب دجاها

¹ أحمد سحنون، الديوان، ص 161.

فإذا عدنا إلى دين الهدى

عاد ما ضاع من المجد سدى.⁽¹⁾

لقد استحوذ المعتقد الديني على حصة كبيرة في أشعار الشاعر، حيث أنه جعل هذا الدين ركيزة أساسية في مواجهة المستعمر، وإن استعمال الشاعر الألفاظ ذات دلالات وإيحاءات دينية، لم يكن عفويا بل بالعكس فالشاعر وإن لم نقل إن كان يتكلف في توظيفها كان استخدامه مقصود.

فهناك عدة قصائد تؤكد حكمنا إذ كان تعمد الشاعر فيها إلى إيراد وتوظيف ألفاظ تصب في مجملها في الإصلاح والتوعية الدينية من أجل التمسك الديني وعبادته بالقرآن الكريم وبتعاليمه ومنها: قصيدة (ذكريات المجد) التي نظمت وألقيت بمعتقل الضاية:

مغرباتي كل يوم بنشيد	ذكريات المجد في الماضي المجيد
صفات المجد والصيت البعيد	من له ماضي كماضي العرب في
طافحا بالشر و الظلم المبيد	كانت الدنيا ظلما مطبقا
مشرق الأنوار من ثغر وليد	وإذا الكون تغشاه السنا
منقذا صرعى عن الهوى أسرى جهود	وإذا ابن العرب طه قد أتى
ناكس الأعلام مقهور الجنود	وإذا بالظلم منهوك القوى
في مواريث العلا أقوى رصيد. ⁽²⁾	وإذا ابن البید والفقر له

إن المتأمل في هذه القصيدة يستشف، لأن الشاعر وظف معجما دينيا وهو الاستعانة بسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - من أجل خلع ثياب الذل و الهوان.

إن المعجم الديني إنما يعبر عن تمسك هؤلاء الشعراء بالأثر الديني الإسلامي قراءة وحفظا فهو الانموذج الذي يجب أن يتخذه في معاناتهم حيث بدت الغربة الروحية

¹ أحمد سحنون، المصدر السابق، ص206.

² المصدر نفسه، ص200 .

والفكرية، والمعاناة الجسدية داخل السجون أساسا موجهة لهذا المعجم، ومن أجل هذا بدت الألفاظ المقتبسة حالات ومواقف تعبر عن همومهم وظمأ أرواحهم إلى التاريخ المجيد.⁽¹⁾

ب- المعجم التاريخي:

تعزى كثرة المادة التاريخية إلى غربة الشعراء وسط هذا المحيط المشحون بالتناقض، فراح هؤلاء الشعراء - شعراء السجون - يبحثون عن ذواتهم داخل تاريخهم الذي يحقق لهم ما عجزوا عنه وما عجزوا عن بلوغه في ظل الاستعباد.

فقد زاد إحساسهم وتمسكهم بالتاريخ، وزاد معهم التعلق بوطن الآباء والأجداد، وتتجلى المادة التاريخية في أسماء الأعلام والتي تتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ من الأنبياء وولاة وقادة وأدباء ومفكرين فمن أسماء الأنبياء وما يتعلق بها من إشارات تاريخية نجد (سليمان والهدد، ويونس وقومه، وموسى والعصا، وعيسى ومريم العذراء...)⁽²⁾.

وهذا ما نجده في قول الشاعر "مفدي زكرياء" مفاخرًا بأبناء وطنه مبرزًا هويتهم:

وما دلنا عن موت من ظن أنه سليمان - منساة - على وهمها خرا

ورثنا عصى موسى فجدد صنعها حجانا فراحت تلقف النار لا السحرا

وكلم موسى الله في الطور خفية وفي الأطلس الجبار كلما جهرا

وأنطق عيسى الإنس بعد وفاتهم فألهمنا في الحرب أن ننطق الصخرا

وكانت لإبراهيم بردا جهنم فعلمنا في الخطيب أن نمضغ الجمرا

وحدثنا عن يوم بدر محمد فقمنا نضاهي في جزائرنا بدرا.⁽³⁾

إن هذا المعجم التاريخي المكثف يبدو فاقدا لإشعاعه وإيحائه بسبب كثافة إشارات وحدود دلالاتها في معنى عقائدي معين لا يحتمل الإيحاء ولا شك أن القارئ للأبيات سيدرك المغالاة العقلية التي لجأ الشاعر إليها لمجرد التظاهر بالفخر والعزة والانتماء.

¹ عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث، ص200.

² المرجع نفسه، ص201.

³ مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص306.

ومن أسماء القادة والفاثحين نجد: (ابن الوليد، ابن خلدون، البحري، عثمان ابن عفان، صلاح الدين الأيوبي، عمرو ابن العاص،...)

وهذا ما وظفه "أحمد سحنون" في قصيدته "ذكريات المجد" حيث يقول فيها:

هل أرى التاريخ في أبطاله مسعرا في الحرب مثل ابن الوليد
أم أرى مثل ابن عوف أو أرى كابن عفان أخا فضل ووجود
هل أرى مثل أبي بكر إذا ضلت الآراء، ذا رأي سديد
أو أرى مثل (علي) مثلا للتعق والعلم والبؤس الشديد
هل أرى مثل صلاح الدين في سياسة العلم أو مثل الرشيد
إننا أحفاد أبطال الوري إننا أبطال تاريخ مجيد.⁽¹⁾

إن هذا التوظيف توظيف مباشر جاد بلغة مقصودة لا تكتفها الغموض، فابن الوليد مسعر العرب، وابن عفان أخو الفضل والجود، أبو بكر ذو الرأي السديد وعلي مثل للعلم والبأس الشديد، ثم صلاح الدين والرشيد من عظماء السياسة والقيادة الرائدة. ولقد اعتمد "أحمد سحنون" في سجينته هذا المعجم التاريخي لأنه مستمد ومستوحى مباشرة من تاريخ عظمائه.

كما نجد عن الشاعر "محمد العيد" أن القصيدة صارت جاهزة لا تكلفه أي جهد فهو يقل شعرا في كل مناسبة و بعدد الابيات الذي يريد دون عناء مادامت الأسماء متوفرة والماضي كثيفا، ففي قصائده (وداع الحجاج، الترحيب بالحجاج، سلوا التاريخ، نجد هذا السجل الوافر من الأسماء التي رفعت لواء الحضارة العربية الإسلامية:

فهل أنجبوا فيها عليا وخالدا وعمر ومعا وابن قيس ومصعبا؟
وهل أنجبوا مثل الغزالي باحثا ومثل بن خلدون خبيرا مدربا؟
وهل أنجبوا مثل ابن حيان جابرا وهل جربوا من قبل ما كان جربا؟

¹ أحمد سحنون الديوان، ص201 .

ونفسر الاعتماد الواسع على التاريخ من طرف شعراء السجن هو محاولتهم الإفصاح عن الاضطهاد الفكري والروحي الذي يعانونه، وتأكيدا للهوية التاريخية للإنسان الجزائري في مواجهة الغربة الاستعمارية ورفض الوقع المفروض ومحاولة إصلاحه أو تغييره.⁽¹⁾

ت- المعجم اللغوي:

إذا انتقلنا إلى المعجم اللغوي التقليدي، فإننا نجد أن الحاسة اللغوية لهؤلاء الشعراء قد تفتحت منذ الصبا على لغة الأدب العربي القديم فلا بد أن يحنو في لغتهم الشعرية منحى القدماء، ويحاكونهم في القاموس الخاص بهم، بيد أن الأثر المباشر لهذا المعجم يمكن أن يعزى إلى العصر العباسي حيث آلة زعامة الشعر إلى المتنبي وأبي تمام، والبحري و ابن الرومي، بحيث ظل معجمهم متداولاً بحماس لدى شعرائنا خاصة ما دل على الغربة وما عبر عن الحنين.

وتتضح علاقتهم بالمعجم الشعري الموروث - بصورة أكبر - حين يتعرض بعضهم لكتابة قصائد ذات شكل قديم، أو ما يعرف (بالمعارضات) فقد كانوا يعارضون الأوائل في أشهر قصائدهم وأروعها بحيث يوظف المعارض في جو فكري وشعوري يوازي المثير الأصلي للشاعر المستلهم، وهكذا فقد غدت بعض القصائد صدى لنماذج معروفة من الشعر العباسي.

إن القارئ لقصائد - مفدي زكرياء - (السجينات) - فإنه يدرك بأنها منبع علم منوال الشعر العربي، فنجد اللغة الفخمة و الجزلة و الألفاظ القوية التي توحى بالحكمة و الأساليب الموروثة، فكل هذه الدلالات توجهنا وتذكرنا بالشعر العربي في عصره الذهبي. وهنا نستدل بقصيدة "زنزانة العذاب رقم 73":

يا سجن ما أنت لا أخشاك تعرفني من يحذف البحر لا يحرق به الغرق
إني بلوتك في ضيق وفي سعة وذقت كأسك لا حقد ولا حذق

¹ بوقرورة، الغربة و الحنين في الشعر العربي الحديث، ص201.

أنام ملء عيوني غبطة ورضى على صياصيك لا هم ولا قلق.⁽¹⁾

فالمعجم الذي قدمه الشاعر لا يخرج عما قدمه "المتنبى" في قوله:

كن أيها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف

وقوله:

أنام ملء جفوني عن شوا ردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

ويأسى الشاعر "محمد العيد" لما حل بشعبه في أرضه فيستعين (بسينية البحتري) في ألفاظها وقافيتها، بل في مضمونها الذي يشابه مضمون قصيدة محمد العيد، فالبحتري يتحدث عن الأطلال وبقايا حضارة (أل ساسان)، ومحمد العيد يعبر عن الدمار الذي حل بالشعب الغريب في وطنه:

ديار من السكان تخلق نكابة وعسفا وأحياء تساق لأرماس

وغيد من البيض الحسان أوانس تهان على أيدي أرذال وأنكاس

ويسلبن من حلي لهن مرصع بكل كريم من جمان وألماس

وينكبن في عرض لهن مطهر مصون الحواشي طيب العرف كالأس.⁽²⁾

من هذه الأبيات يتضح لنا التواكل والاعتماد على لغة الأقدمين الذي جر معجمه إلى الاهتزاز والتفكك، فما الذي جرى إلى استعمال (الأرماس والبيض الحسان، والجمان، والألماس، والأس)، إلا الجري وراء القاموس القديم.

أما الشاعر (عبد الرحمن بن العقون) فإننا لا نكاد نمر على بيت شعري له دون أن تستوقفنا لفظة أو صيغة، أو نمط من أنماط الصياغة، أو أية إشارة قريبة أو بعيدة إلى بيت شعري قديم إذ يقول:

ألا هل من الوادي الحزين لنا قرب وهل في دياجي البين عن قريتي قرب

مربع لهوي في صباي عشقتها وديار أحباب فؤادي بهم صعب

¹ مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص 20 .

² محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 326 .

بها رفرقت نحو المعاني مطامحي وفيها لسابق الهوى خفق القلب
فإني - ونار الظلم فيها تنوشني - سعيد إذا الأنفاس يسعدها الحب

فإذا لاحظنا هذه الأبيات لوجدنا أن الشاعر أسهب في توظيف الموروث القديم، كما أن هذه الأبيات توضح لنا مدى التوكل و الاعتماد على لغة الأقدمين وهذا عندما قام بتوظيف الألفاظ التالية (ألا، قرب، دياجي، مرابع لهوي، بهم صيب).⁽¹⁾

إحصائية توضح لنا شغف الجزائريين بهذه النماذج⁽²⁾: -

الشاعر المتأثر	عنوان القصيدة	الشاعر المتأثر به	عنوان القصيدة	وزنها	حرف الروي
أحمد سحنون	- أيها المعبد - الإنسان بين... - ابنتاي	- ابن زيدون - عدي الغساني - محمود غنيم	- ذكرى ولادة - بلا عنوان أنا وابنائي	- الرمل - الخفيف	- الكاف - الهمزة
مفدي زكرياء	- ماذا تخبئه يا عام - رسالة الشعر	- ابن زيدون - ابن زيدون	- أضحى الثنائي - أضحى الثنائي	- البسيط	- النون
ابن العقون	- أنشودة الألم	- البارودي	- شقني وجدي	- الرمل	- الراء

¹ محمد زكي العثماوي، الشكل والمضمون في النقد الأدبي الحديث، عالم الفكر، ط2، 1978، ص24.

² عمر بوقرورة، الغربة و الحنين في الشعر العربي الحديث، ص283.

ثانيا: مصادر الصورة الشعرية لشعر السجون في الجزائر:

تعد الصورة الشعرية موضع اهتمام النقاد باعتبارها إحدى المقومات الفنية فهي تحتل منزلة رفيعة لم ترق إليها باقي الأدوات الشعرية،⁽¹⁾ ولعل ذلك يعود إلى أهميتها البالغة في القصيدة، يقول كولردج: « الشعر من غير المجاز يصبح كتلة جامدة ذلك لأن الصورة المجازية جزء ضروري من الطاقة التي تمد الشعر بالحياة»⁽²⁾.

لم تكن هذه الأهمية محصورة في النقاد المحدثين، بل هي الأساس في النقد الأدبي عند العرب منذ القرن الثاني الهجري، وإن لم يستعملوا مصطلح الصورة، يقول جابر عصفور: « وقد لا نجد المصطلح الصورة الفنية بهذه الصياغة الحديثة في الموروث البلاغي والنقدي عند العرب، ولكن المشاكل والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث ويطرحها موجودة في الموروث »⁽³⁾

وإذا أتينا إلى الصورة الشعرية عند شعراء السجن فإنها كانت أداة للتعبير عن ظروفهم وأحوالهم المعقدة، كما أنها سلاحا لمواجهة الواقع الشعري أو رفضه، فقد اختبأ الشاعر وراء الصور إلى حد ملفت الانتباه من أساطير وإشارات وأساليب رمزية لتفسير أزمة الإنسان الحديث وإعادة تقسيم التجربة الإنسانية على ضوء حاضر متقل بالمشكلات الحضارية⁽⁴⁾.

أ- القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم مصدر أساسيا عند شعراء السجن، سواء ما تعلق بالآيات القرآنية، أو الإشارات التاريخية الإسلامية، ولكنها لا تتعدى الالتفاتة الصريحة العابرة، التي تعبر

¹ الأخضر عيكوس، صورة الشعرية في القصيدة الجاهلية "دراسة بلاغية نقدية" رسالة ماجستير، معهد الأدب والثقافة العربية، جامعة قسنطينة، 1985 - 1986، ص 17.

² إليزابيت درو، الشعر كيف نفهمه وننطقه، ترجمة د. إبراهيم الشوس، ص 59.

³ جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة، القاهرة، ط1، 1974، ص 17.

⁴ سكيانة قدور، الحبسيات في الشعر العربي الحديث، ص 416.

عن موقف ذهني دون أن تكشف عن موقف ينمو ويتطور ويصبح فاعلا في تجربة الشاعر.

وإذا أتينا إلى عرض مصادر الصورة الشعرية وتحليلها عند "أحمد سحنون"، فإننا سنجد القرآن الكريم في مقدمة المصادر سواء تعلق الأمر بالآيات القرآنية أم الإشارات الإسلامية، فما هو في قصيدة "فرحة الأوبة"، يضع صورة بلاده مقابلة لصورة الفردوس ويجعل غربته وسجنه مقابل صورة (سوط العذاب)، يقول:

عودة الحر إلى أوطانه! دونها عودة أيام الشباب

ما بلادي غير فردوس وما غربتي عنها سوى سوط عذاب.⁽¹⁾

فالشاعر يتعامل مع القرآن الكريم في استنباط صورته الشعرية، ويجعل منه ملهمه، إن (أحمد سحنون) في استعماله الشعري هذا، اكتفى بنقل الصورة الواقعية ومقابلتها بصورة قرآنية دون أن يوجه هذه الصورة نحو وجهة عميقة أو استعمال إيحائي، وإنما كانت مجرد تصوير جيد يعتمد استحضار صورتين، ليعبر بواحدة عن فرحه بالأوبة، وبالأخرى عن عذابه وغربته الماضية، وقد يستوحي الشاعر صورته من لحظة دينية قرآنية مرت عليه في سجنه، وأصدق ما نمثل به هنا قوله في سجنه: "يوم ميلاد"

يا صاحب الصوت الندي الرخيم وصاحب الخلق الرضي الحميد

رتل لنا آي الكتاب الحكيم فهي ملاذ للوجود الشريد

وافتح المصحف من حينه يرتل الآي بصوت المديد.⁽²⁾

ولعل أبرز استلهم للآية القرآنية نجده عند "مفدي زكرياء" في حنيه إلى بيئته الأصلية (الصحراء) متغنيا بجمالها وهو حبس موثق بسجن البرواقية:

في صحرائنا تبر وتمر كلا الذهبين راق بها وطابا

وهزت مريم العذراء نخيلا فأسقطت الفلودج والرضابا.⁽³⁾

¹ أحمد سحنون، الديوان، ص92.

² المصدر نفسه، ص83.

³ مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص37.

فلقد جاء في القرآن الكريم « وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » (1).

والشاعر قد يمثل هذه الصورة دون أن يصوغها بما يلائم موقفه لأن الصورة في الآية الكريمة توحى بالأمن والطمأنينة، والبركة للسيدة العذراء، ولكنها ظلت عنده مجرد إعجاب بالنص القرآني اقتبسه ليدل على حنينه لوطن لا مثيل له. ولعل أجمل صورة استنبطها الشاعر تلك التي استمدّها من الآية الكريمة ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ﴾ (2).

حيث عبر فيها بصدق واقتدار عما يعيشه من غربة موحشة بين جدران السجن، وهذه الصورة هي في قوله:

ورسالة صاغ الشهيد بيانها وزكا بها في الخالدين عصام

أسرى بها من بربروس خياله وهفت به بحماكم الأحلام. (3)

لقد تكرر اغتراف شاعر الثورة من القرآن الكريم، فهو كثير الترداد في شعره، ونتوقف هنا عند قصيدة " الذبيح الصاعد" لنرصد مظاهر العودة إلى القرآن كمصدر للصورة الشعرية، ففي قوله وبالتحديد في البيت السابع عشر:

زعموا.....قتله و ما صلبوه ليس في الخالدين عيسى الوحيدا. (4)

الشاعر استحضر قول الله تعالى الذي تحدث فيه عن قصة سيدنا عيسى عليه السلام. قال تعالى: « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا ». (5)

وقوله أيضا: « بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ». (6)

¹ سورة مريم، الآية (25) .

² سورة الإسراء، الآية (1).

³ مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص25.

⁴ المصدر نفسه، ص11.

⁵ سورة النساء، الآية (157).

⁶ سورة النساء، الآية (158).

إن الشاعر بهذا التصوير يحاول أن يقول بأن الشهيد لا يقتل، وهو لا يعترف بذلك وهذا ما تجلى عند ذكره لقصة صلب عيسى عليه السلام.⁽¹⁾

وتصبح الإشارات التاريخية الإسلامية متكأً فنياً للشاعر "محمد العيد" إذ لا يستطيع أن يعبر عن غربته إلا من خلال المشابهة بين موقفه وموقف سابقه، وهذه صورة رسمها عندما فرضت عليه الإقامة الجبرية في مدينة بسكرة.

رمانى حول سفحك موج دهري أسيرا بعد أحداث طوال
فعثت به كيونس في سقام لدى قومي ولكن في انزال.⁽²⁾

وقوله:

فقال لقد أتيتك من بعيد فأصغ إلى وارو عن الخبير
كما أصغى سليمان قديما إلى أتباء هدهد الصغير.⁽³⁾

هذا النوع من الصور القائمة على المشابهة (عزلة كعزلة يونس - عليه السلام - وعلاقته بطائره كعلاقة سليمان بالهدد) والمعتمدة على الشرح والتوضيح، تظل جامدة لأن الشاعر في مثل هذه الاستخدامات لم يستطع أن يكسب الإشارة الموروثة معنى جديداً منسجماً مع موقفه أو حالته الخاصة التي يعاني منها.

وفي الأخير يمكن القول بأن هدف شعراء السجن من وراء العودة إلى القرآن الكريم، وتوظيفه في الصورة الشعرية، هو من أجل إعطاء قيمة عظيمة لأشعارهم وهذه القيمة هي قيم روحية مستمدة من القرآن.

¹ عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830، 1962)، ص 464.

² محمد العيد، الديوان، ص 423.

³ المصدر نفسه، ص 45.

ب)- الشعر العربي القديم:

إن ثاني المصادر التي يستمد منها الشاعر الجزائري السجين قصائده، كانت التراث العربي القديم، والذي يتمثل في الشعر العربي، وأتى به شعراء السجن لتفعيل لغتهم الشعرية وتجزيلها والرقى بها إلى مستوى الشعراء الكبار عمرو بن كلثوم، والمتنبي... ولعل أبرز بيان على تأثر "أحمد سحنون" بصورة الشعر العربي القديم نجده في قصيدة (رباه):

ويظل يرنو للطريق فلا يرى في العائدين مع السماء أباه

ويبيت يعلم في المنام برؤيتي فإذا جفاه النوم زاد أساه.(1)

فلدينا في هذه الصورة البنت المتشوقة التي تقف حائرة، تراقب العائدين لتسألهم عن أبيها الحبيس البعيد عن الدار، تقابل هذه الصورة صورة الأم عند أبي فراس، وهي تسأل الركبان جاہدة عن ابنها:

تسأل عن الركبان جاہدة بأدمع ما تكاد تمهلها

يا من رأى لي بحصن خرشنه أسد شرى في القيود أرجلها

كما أن الشاعر أيضا أوحى إليه العصفورة بقصيدة، على غرار ما أوحته الحمامة "لأبي فراس" فراح "أحمد سحنون" يخاطبها قائلاً:

عصفورة مرت على غرفتي تشدو بلحن ساحر النبرة.(2)

وتصبح شخصية "أبي فراس" مصدرا لشعراء السجون الفرنسية، فمفدي زكرياء يحاول أن يجعل موقف الشاعر من قومه خاصا به.

يقول مفدي في قصيدة زنزانة العذاب:

سيذكرون إذا الليل الرهيب سجي وجلجل الخطب أني في الدجى فلق

حسبي وحسب أناسي أن غدوت لهم عودا يعطره ذكرى وأحترق.(3)

¹ أحمد سحنون، الديوان، ص159.

² المصدر نفسه، ص69.

³ مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص29.

فهو يستعير صورة لأبي فراس الحمداني في قوله:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم في الليلة الظلماء يفقد البدر

وهذه الصورة قاصرة عن أن تبلغ صورة أبي فراس، ناهيك عن أن تحمل دلالة جديدة، أو إشارة إلى حالة لم تكن لترد على ذهن أبي فراس فأبو فراس هو البدر الذي يختفي في ليلة مقفرة مظلمة إذ يستحيل التواصل من دونه ويكتفي مفدي بأن شبه نفسه بالعود المعطر الذي لا يضير القوم في شيء إن افتقدوه.

ولعل "مفدي زكرياء" من أكثر شعراء السجن حرصا في استعارته صور القدماء وفنهم، فهو لا يكتفي ببيان منزلته بين قومه أن ينتزع صورة لأبي فراس الحمداني، فحين يقول في نفس القصيدة:

يا سجن ما أنت لا أخشاك تعرفني من يحرق البحر لا يحرق به الغرق.⁽¹⁾

فالشاعر هنا يستعير صورة لأحد الشعراء وهو المتنبى حين قال:

وما كمد الحساد شيء قصده ولكن من يزحم البحر يغرق

وينجح الشاعر "مفدي زكرياء" في توليد صور جديدة من خلال الموروث الذي يشكل ثقافته الشعرية يقول:

وتغرب الشمس تطوي في ملاعنها سرين أشفق أن يشفيهما الشفق.⁽²⁾

فإذا نظرنا إلى البيت بعناية لوجدنا أن الشاعر جمع مكون الصورة (تطوي في ملاعنها سرين) من بيت لابن زيدون في نونيته الشهيرة:

سران في خاصر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يشفيها.⁽³⁾

ونجد أيضا الشاعر "محمد العيد" يناجي طائره باستلهام المناجاة المعروفة لأبي فراس مع حمامته:

¹ مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص21.

² المصدر نفسه، ص 69.

³ المصدر نفسه، ص 25.

أناجيه بآمالي وحالي وأستفتيه عن شعبي الكسير
كما ناجى الامير (أبو فراس) حمامته بشعر مستثير

وهناك صورة موروثية نجدها عند "عبد الرحمن بن العقون" في ذكره للشامتين به - كما يزعم - وهو يعاني ألم الغربة بين جدران بربروس:

وما ضروني أني سجين وكوكبي عزيز بعين الشامت الوغد أن يخبو
فإني كصافي الزيت يلقي نكاية بقعر خضم ثم يطفو فينضب

إذ أن الرومانسية حس إنساني نبيل ينمو في فترات الحزن والألم، ولا يقبل هذا الحس أن يخضع لحركة فلسفية وفكرية محكومة بزمان ومكان. وفي الأخير يمكن القول بأن شعراء السجن اعتمدوا في صورتهم الشعرية على التراث و الذي يشتمل على القران الكريم و على الشعر العربي القديم. (1)

ثالثا: الموسيقى الشعرية لشعر السجون في الجزائر

يعد الجانب الموسيقي عنصرا أساسيا من عناصر الشعر "جانبها الصوتي المنغم بإيقاعات خاصة تأسر هي الأخرى المتلقي، وتأخذه إلى تتبع مواطن ذلك الإغراء الذين تفتن له القدامى وجعلوه من أهم مميزات الشعر". (2)

ويعد الوزن عماد الشعر حيث أن القدامى عرفوا الشعر بأنه كلام موزون مقفى تفرقه عن النثر، فالقصيدة إذا خرجت من عنصر التنغيم خرجت من الشعرية إلى النثرية وهو الفارق الجوهرى بينهما.

أما الشعر الحديث فقد ظهرت دعوات كثيرة تدعو للتمرد على الأوزان، وتحرر الشعر من قيودها، كما نشير أن دعوات التجديد لم تستطع التمرد على أوزان الخليل، إن اعتمدت كمبدأ أساسى من مبادئها على التفعيلة الواحدة كوحدة موسيقية بدلا من وحدة

¹ عمر بوقرورة، الغربة و الحنين في الشعر العربي الحديث 1945-1962، ص244.

² سكيانة قدور، الحبسيات في الشعر العربي الحديث، ص 183.

البيت العمودي، فالموسيقى لدى (مفدي زكرياء، ومحمد العيد، وأحمد سحنون وعبد الرحمن بن يعقون...) إلى الشكل الموروث تستلهم منه الوزن والقافية على سواء.⁽¹⁾ والواضح أنهم قد قبلوا هذا الإطار الموسيقي القديم، ولكنهم لم يستطيعوا - في أحيان كثيرة - أن يطوعوه كي يعبروا عن ذواتهم، مما ينفي عنهم الاستقلالية. وتتفاوت هذه القصائد في درجة اعتمادها على الإطار القديم فهدف بعضهم إلى الاستعانة بالقافية دون الوزن والعكس عند البعض الآخر، بينما راح بعضهم يعارض الأوائل في الوزن والقافية، واللغة والصور أحيانا واكتفى البعض بعملية الاستيحاء لنماذج قديمة. ويمكن أن نحصر تلك المعارضات في أشكال موسيقية أربعة:

1- هناك شكل يعتمد على الوزن دون القافية مثلما نجد عند مفدي في (زنزانة العذاب) وفيها يقول:

أنام ملء عيوني غبطة ورضى على صياصيك لا هم ولا قلق
طوع الكرى وأناشيدي تهددني وظلمة الليل تغريني فأنطلق.⁽²⁾

هذان البيتان من قصيدة طويلة نظمها الشاعر على شاكلة المتنبي في قوله:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

وقد عبر فيها مفدي عن غربته ووحدته بين جدران الزنزانة في سجن بربروس، ولكن أثر المتنبي يبدو واضحا في شيئين أساسيين، في الوزن البسيط (مستفعلن فعلمن مستفعلن فعلمن)، وفي الصياغة الرصينة الجزلة التي تفرع الأذان بموسيقاها، لما فيها من صنعة وتكلف، وقعقة لفظية، والتي عمد فيها مفدي جريا على طريقة المتنبي، وجعلها منهجا له في سجيناته وغاية، مما أفقدها قدرة التعبير عن حقيقة ما يعانيه في عزلته بين جدران السجن. وفي هذا يقول عز الدين إسماعيل: «قد يستفيد الأديب من الإيقاع والتجانس الصوتي، وغيره من الزخارف الصوتية التي يستطيع تحقيقها في عمله الأدبي

¹ السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، دار المعارف، ط2، 1983، ص192.

² مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ص21.

ولكن يوم تصبح هذه الأشياء كل مهمته، فعندئذ لا يمكن أن يقال أنه أنتج أدبا، لأننا الأدب شيء غير الموسيقي « (1).

2- وشكل يعتمد على القافية دون الوزن مثلما وجدنا عند محمد العيد في قصيدة (لا أنسى) والتي يعرض فيها غربة الشعب داخل وطنه:

وقفت أجبل الطرف في الأرض باحثا وأضرب أخماسي الجميع بأسداسي (2).

فالشاعر قد وقع فيما يمكن أن نسميه: الافتتان بقافية البحري في سينيته المعروفة، ومن أجلها جلب معان لا تتناسب والموقف الذي يعانيه.

3- وشكل يعتمد على الوزن والقافية واللغة والصور أحيانا، وهذا ما نجده عند "أحمد سحنون" في قصيدته (أيها المبعد) نحس فيها تقسيمات "ابن زيدون" في موشحته (ذكرى ولادة).

على أن "أحمد سحنون" لم يكتف بالتوقيع على موسيقى الأقدمين واستعارة قوافيهم وإنما هو يغير على القصيدة فيقتطع منها أبيات كاملة ليضمونها قصائده، كما قصيدته (الإنسان بين تيارات الشقاء):

يكره الناس أن يموتوا وهل في الموت إلا سعادة الأشقياء

(ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء)

(إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله، قليل الرجاء) (3).

وقد نظر فيها إلى أبيات عدي بن الرعلاء الغساني التي غدت مضرب الأمثال، والواضح أن سحنون لم يقبل على الأبيات إلا لكونها تحمل حقيقة يريد أن يؤكد بها حكمه على أهل زمانه ولن يكون هذا الحكم صحيحا إلا إذا نطق به الأولون.

¹ عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، ط7، 1978، ص35.

² محمد العيد، الديون، ص 326.

³ أحمد سحنون، الديوان، ص 167.

ولا يكتف الشاعر بمعارضة الشكل القديم فحسب، بل يلجأ إلى الشعر الحديث كما وجدنا في قصيدته (ابنتاي) التي عارض فيها قصيدة "محمود غنيم" (أنا وابناي)، يقول محمود غنيم:

وأطيب ساع الحياة لدا عشية أخلو إلى ولدا

فيقول أحمد سحنون:

تبوأتما مهجتي يا بنتيا! ولازم طيفاكما مقلتيبا.⁽¹⁾

ونقرأ قصيدتي "مفدي زكرياء": (ماذا تخبئه يا عام ستينا، ورسالة الشعر في الدنيا مقدسة) ونتحسس فيهما نغم ابن زيدون في نونيته الشهيرة:

أضحى التناي بدلا عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا.

فالقراءة المستديمة لقصيدتي مفدي زكرياء تكشف لنا عن موقف عاطفي يشابه موقف ابن زيدون برقته وامتلائه بأحاسيس الفراق والحزن فمفدي يصدر في الأولى عن حنين طاغ إلى الوطن، وعن تشوقه إلى الحرية والاستقلال:

عام مضى كم خابت أمانينا ماذا تخبئه يا عام ستينا.⁽²⁾

ويصدر في الثانية عن نشوته وفرحه باللقاء العربي الموحد في مهرجان الشعر بدمشق (1961) وعتابه لأبناء العروبة على جفائهم:

ويا دمشق... هل ابتلت جوانحنا؟ بعد التناي الذي قد كان أضنانا

يا مسعدينا بدمع في رزيتنا ومسعفينا بعطف في بلايانا

ذروا العواطف... فالرشاش يجهلها و(سجدة السهو) لا تحيي ضحايانا⁽³⁾.

¹. مفدي زكرياء، اللهب المقدس ص 66-67.

² المصدر نفسه ص 287.

³ المصدر نفسه، ص 288.

وموقف العتاب وارد عند كليهما، إذ لا فرق بين أن يعاتب ابن زيدون (ولادة)، ويعاتب مفدي (العرب) فالحب يكبر في زمن الثورات والمحن ليتعدى الحواجز الفردية إلى الجموع العامة.

والقراءة المتأنية لهذه المعارضات تكشف عن شغف الشعراء الجزائريين بالنماذج العباسية ولم ينظروا إلى نماذج الفحول في الشعر العربي الحديث مثل (البارودي وشوقي وحافظ) إلا نادرا، كهذه المعارضة التي سجلها "عبد الرحمن بن العقون" في إحدى سجيناته ومطلعها:

طال ليلي الجهم واعتز القمر وتولا ني عناء وضجر

وهي مصممة على طريقة البارودي في قوله:

شقتي وجدي وأبلاني السهر وتغشتني سما دير الكدر

4- وهناك شكل يكتفي بالاستحياء ليس غير، ويكاد ينحصر هذا النوع في قصيدة المتنبي (عيد بأية حال...)، وهي القصيدة التي أعجب بها هؤلاء الشعراء إعجابا شديدا لمشابتها للحالات التي يعيشونها حينما تمر بهم مناسبات الأعياد بعيدين عن ذويهم، إضافة إلى ما تتمتع به القصيدة من بناء محكم، وصور نافذة، وأجواء عميقة لم يستطيعوا أن يتخلصوا من أسرها. ومن هذا النوع ما نجده عن "أحمد سحنون" في قوله:

يا عيد هل أنت عيد أم أنت هم جديد؟

لم يبتهج بك طفل ولا اشتهاك وليد⁽¹⁾.

ومما سبق نجد أن إبداع الشعر على هذه الشاكلة أمر مغر للمبتدئين من الشعراء فالأمر لا يتطلب سوى النظر في دواوين الأقدمين حفظا وقراءة، فكثيرا من الشعراء من كانت تخطر له القافية قبل أن ينظم البيت الشعري، إذا كان حينذاك ينظم البيت تبعا للقافية التي خطرت له.

¹ عمر بوقرورة، الغربة و الحنين في الشعر العربي الحديث (1945-1962) ، ص281.

رابعا : موضوعات شعر السجون في الجزائر :

إن مواضيع أدب السجون إنما تحوم من حيث موضوعاتها حول قضايا وطنية هامة من شأنها أن تهز كيان المستعمر هزا، فأحداث الإعدام، والاعتقالات، والتعذيب، وأخبار المعارك هي صلب النتاج الأدبي في السجون في الأغلب. بالإضافة إلى مواضيع أخرى، والتي تمس الجانب الشخصي أو ما تسمى بالبواعث الشخصية .

(أ) الحنين إلى الأهل والأحبة :

لا عجب أن نجد عاطفة الشوق والحنين في شعر السجون، فهذه العواطف هي من أقوى العواطف التي ميزت الشاعر في تلك الفترة، فمثلا أحمد سحنون نجده أكثر تأثرا لفراق أبنائه، فكان تعلقه بأبنائه جعلهم يعيشون في ذاكرته. فأصبح يراهم في كل شيء أحمد سحنون نظم قصيدة عصفورة عندما تذكر عصفورته التي بقيت في البيت فرأى ابنته في صورة العصفورة التي حطت بالقرب من زنزانته :

عصفورة مرت على غرفتي تشدوا بلحن ساحر النبرة

مرت تغني فاستشار نجوى قلبي وأشواقى لعصفورتي.(1)

ونجد الشاعر مفدي زكرياء الذي انتقل من ميدان الحياة صاحب المملوء بجو النشاط السياسي والفكري إلى جدران السجن، أوجد نغما حزينا، فالشاعر القوي التأثير يقف لحظة في بربروس لسمع إلى دقات قلبه، فيعزف لحنا عاطفيا يصور فيه شوقه وتلفه إلى زوجته التي يناجيها مناجاة عذبة رقيقة من قعر الزنزانة رقم 73. وبهذه الأبيات حاول مفدي زكرياء أن يزحزح عن كاهله ثقل الأيام فلم يجد غير سلوى المحبوبة يشكوها ألم الفراق والبعد عنها :

ورب نجوى كدنيا الحب دافئة قد نام عنها رقبى ليس يسترق

عادت بها الروح من سلوى معطرة فالسجن من ذكرى كله عبق.(2)

¹ مفدي زكريا ، اللهب المقدس، ص 20.

² المصدر نفسه، ص 21.

ب (الحنين إلى الوطن :

لم تكن آلام السجين نتيجة لفراق الأهل والأحبة فقط، بل إن الوطن وفراقه كان أشد وطأة على شاعرية ونفسية الشاعر الذي أصبح يحس بمهجة الفراق .
إن الحنين إلى الوطن والتألم لفراقه هي ظاهرة عامة، ظهرت عند أغلب شعراء السجن، فكان حنينهم قويا بالرغم من أنهم كانوا يعيشون داخله. مثلا أحمد سحنون وبالرغم من معاناته من وطأة السجن إلا أنه استسلم لأحاسيسه التي قادتته إلى الحنين الجياش إلى الوطن الذي هو من أنبل العواطف وأشدها، فلقد هام الشاعر في ذكريات وطنه من نسيم عليل، ونقي، وבלابل شادية، ونجوم نيرة فأنشد يقول :

كل شيء نسيته يا بلادي وتلاشت أطرافه من فؤادي

غير ذكراك فهي تكمن في قلبي كمون اللظى بقلب الرماد.(1)

كما نلتمس حنين شاعر السجن إلى وطنه في قصيدة (فلا عز حتى تستقل الجزائر) لمفدي زكرياء، ففيها تظل العلاقة بالوطن واضحة متسقة، حيث حاول مفدي زكرياء أن يجسد حالته المأسوية وهو بعيد عن الوطن :

جزائر مهما باعد الخطب بيننا تباكرني النحوى وتهفو بي الذكرى

حنين إلى القصباء هاج مدامعي وشوقي إلى بلكور أفقدي الصبرا .(2)

وفي الأخير يمكن القول أن هؤلاء الشعراء عاشوا غربة الفراق، وإن لم تكن بمعناها الحقيقي، فهيامهم وحنينهم إلى وطنهم قادهم إلى العيش على ذكرياته ومناطق الجمال فيه .
ت (الحنين إلى الحرية والاستقلال :

كان إيمان شعراء السجن بالقضية الوطنية إيمانا قويا، لم يتسرب إليه الشك أبدا فحتمية النصر والنجاح كانت تلازمهم في نفوسهم، فكانوا يقومون بإطلالة ولو خاطفة وخفيفة على عالم الاستقلال الذي كان يستهويهم كثيرا.

¹ مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 101.

² المصدر نفسه، ص 314.

فهم يرون أن فرنسا من غير الممكن أن تنتصر لأن قضية الجزائر أقوى فيقول مفدي زكرياء مخاطبا فرنسا :

لا تطمعي النصر من جند سماسرة أبحرز النصر مأجور ومرتزق.⁽¹⁾

أما أحمد سحنون في أحد قصائده يتساءل عن مصير هذا الشعب، وفي هذا التساؤل وجود دلالة قوية وهي الإيمان بوجود دولة اسمها الجزائر تنعم بالسلام والطمأنينة مستقبلا.

شعب الجزائر هل أرى لك دولة قد لبست ثوب الفخار قشيبا

أأرى الجزائر روضة فينانه وأرى بها غصن الحياة رطيبا

والزهر أدواحها مبتسما والطير في أفنانهن خطيبا.⁽²⁾

ج (التغني بالثورة والبطولات :

قدر للشاعر مفدي زكرياء أن يصف الثورة الجزائرية من موقع المناضل الممارس، والسجين والمجرب الوطني والمتقف، وهو يعد أكثر الشعراء شهرة في الداخل والخارج في تاريخ الشعر الجزائري إطلاقا ولعل ذلك يعود إلى قصائده التي خلّد بها الثورة الجزائرية، يضاف إلى ذلك النشيد الوطني الذي كتبه وهو في سجن بربروس في الخامس والعشرين من أبريل 1955.⁽³⁾

ومن أروع قصائده في التغني بالثورة الجزائرية هي كلها مطولات، تزيد عدد أبياتها عن خمسين بيتا ومن بينها قصيدة (إقرأ كتابك) والتي نظمها الشاعر في سجن البرواقية بمناسبة الذكرى الرابعة للثورة الجزائرية فهو يتغنى بثورة نوفمبر المجيدة :

هذا نوفمبر قم وحي المدفعا وأذكر جهادك والسنين الأربعة

وإقرأ كتابك للأنام منفصلا تقرأ به الدنيا الحديث الأروعا

¹ مفدي زكرياء، المرجع السابق، ص 28.

² المصدر نفسه، ص 121.

³ عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة في الجزائر، (1830 — 1962)، المركز الوطني للنشر، ط1، 2003، ص

واصدع بثورتك الزمان وأهله واقرع بدولتك الورى والمجمعا.⁽¹⁾

إن الحديث عن القضية الوطنية (الثورة) لم تكن تخلو في أي حديث عن الجزائر والوطن والأرض، ففي القصيدة الواحدة نجد الصورتان تتداخلان وتمتزجان حيث يصعب الفصل بينهما، ففي الكثير من الأحيان تغنى السجين بالثورة وأيدها وعانقها وباركها. وهذه القضية الجدلية القائمة بين حب الوطن، وحب الثورة، فالجزائر هي منبع الثورة والثورة هي نضال من أجل الجزائر وهذه الظاهرة هي التي تفسر امتزاج مشاعر الشاعر بين حب الأرض والوطن وبين التأييد ومساندة الثورة.

ح (الحنين إلى العروبة:

هناك الكثير من قصائد مفدي زكرياء التي نادى فيها بالوحدة وبالقومية العربية، فمثلا في قصيدته (وتعطلت لغة الكلام) يصور ذلك الحنين إلى العروبة، وذلك التجاوب بين الجزائر، وبين أقطار الأمة العربية كلها.

يا أمة العرب الكرام :كرامة لك في الجزائر حرمة وذمام

في كل أرض للعروبة عندنا رحم تشابك عندها الأرحم

إن صاح في أرض الجزائر صاح لبته مصر، وأدركته شام.⁽²⁾

وفي قصيدة أخرى قال :

وتعمدوا قطع الطريق فلم ترد أسبابه بالعرب أن تتقطعا

نسب بدنيا العرب زكى غرسه ألم فأورق دوحه وتفرعا

سبب بأوتار القلوب عروقه أن رنّ هذا، رنّ ذك ورجعا .⁽³⁾

¹ مفدي زكرياء، اللهب المقدس ، ص 57.

² عبد الله الركيبي، قضايا عربية في شعر الجزائر المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1973 ، ص 26.

³ مفدي زكرياء، اللهب المقدس ، ص 60.

خامسا : خصائص شعر السجون في الجزائر :

أ (الصدق في التعبير عن الذات :

لقد عني شعر السجون بتصوير العواطف والتجارب الذاتية، والذي نلاحظه على جزئه الذاتي وهو طابع الصدق، ويتجلى واضحا، ومؤثرا حيث يتميز بالبساطة والعفوية والصراحة، لقد كانت هناك عدة مؤشرات توحى إلى هذا الصدق ،وأهمها خصوصية مشاعر هؤلاء السجناء حيث قاموا بتصوير صريح لتلك العواطف. فمثلا احمد سحنون عندما قاده الحنين إلى أهله وبصفة خاصة إلى ابنته الصغيرة إلى التعبير عن عاطفته بكل صدق.

مرّت تغني فاستشارت جوى قلبي وأشواقى لعصفورتي

عصفورة تشبهها روعة في الثوب والتغريد والصورة

عصفورة إن جئت أرض الحمى وشهمت بيتا قد حوى صبيتي

أما مفدي زكرياء السجين المعزول قد عبر وبصدق عن عزلته هذه، عندما فرح بالقطة التي أنستته.

رفيقتي في شقائي حليفتي في سقامي

قسيمتي في نعيي شريكتي في طعامي

نامي عزيزتي نامي

في الأخير يمكن القول بأن هؤلاء الشعراء لم يلجؤوا إلى مبدأ الاختلاف والتهويل والمبالغة، لا من حيث التعبير عن الذات والوجدان، ولا من ناحية التعبير عن الموضوع، بل هم صادقون كل الصدق بعيدون عن التكلف والافتعال فكان شعرهم المرآة العاكسة بالنسبة لهم⁽¹⁾

¹ — عمر زبرق، شعر السجون في الجزائر، ص 58.

ب (الصدق في التعبير عن الموضوع :

إن شعر السجون لم يكن في مجمله تعبيراً عن المشاعر الذاتية فقط، بل هناك جزءاً كبيراً ينصب على أشياء أخرى منها قضايا ومضامين تتعلق بالعالم الخارجي، وتتجلى في قضايا عامة كالثورة وتطورها ومثل الحديث عن بطولاتها ومواقف هيئة الأمم المتحدة من القضية الجزائرية، ومثل الحديث عن المخططات الاستعمارية من أجل فضحها .

إن دراسة عنصر الصدق في هاته الموضوعات لا يتمثل في مطابقتها للواقع المعيش، وإنما مدى إيمان الشاعر بها بعيداً عن المبالغة والاختلاق، فمثلاً في " اقرأ كتابك " للشاعر مفدي زكرياء، فنعه عبر بصدق في تغنيه بثورة نوفمبر المجيدة وتعبيره جاء هادفاً وصادقاً.

إنّ الجزائر قطعة قدسية في الكون لحنها الرصاص ووقعها

وقصيدة أزلية، أبياتها حمراء كان لها نوفمبر مطلعها

نظمت قوافيها الجماجم في الوعي وسق النجيع رويها فتدفعها

وأحمد سحنون هو الآخر ذهب إلى ما ذهب إليه مفدي زكرياء في تغنيه بالفدائي.

وهب كعاصفة عاتية يبيدُ السرور ويمحو الفساد

وحقق في الأفق الأوسع كما حدّق الصقر يبغي الاصدى(1)

ت (التفاؤل والتسامي :

بالرغم من تردي الظروف المعيشية للشعراء المسجونين إلا أن نظرتهم إلى الأمور كانت تتسم بالتفاؤل وتصطبغ بالتعالي عن الآلام، فالذي يطلع مثلاً على قصيدة " الذبيح الصاعد " يلحظ بأنها في التفاؤل " مفدي زكرياء " في قصيدته وظف هذا المبدأ وهذا جلي كون هذه القصيدة تصف حدثاً محزناً وهو إعدام الشهيد " أحمد زبانا " إلا أن الشاعر رأى العكس واعتبر أن هذا الشهيد هو رمز الخلود.

يا زبانا "ويا رفاق زبانا " عشتم كالوجود، دهرًا مديدًا

¹ عمر زبرق، المصدر السابق، ص 60.

من في البلاد أضحى " زبانا " تمنى بأن يموت شهيدا

أنتم يا رفاق قربان شعب كنتم البعث فيه والتجديدا.(1)

ونستطيع أن نرصد روح الشاعر " أحمد سحنون " المتسامية والمتفائلة عندما تحدث عن النصر والاستقلال رغم جبروت الاستعمار .

أيها المعبد يا رمز الجهاد.

لا تبت بالهم مكلوم الفؤاد.

سوف يجلو النصر ليل الاضطهاد.

وترى عيناك تحرير البلاد.

إن الروح القومية تبدو جلية وبارزة في هذه النصوص وهي إن دلت فإنها تدل على شعور السجناء القوي في أحلك الظروف، مما دفعهم إلى النظر للواقع المعيش بنظرة متفائلة، متسامية.

ج (العناية بالمضمون :

إن المطلع على أدب السجون في الجزائر فإنه سيلحظ فيه ظاهرة مهيمنة وهي التركيز على التعبئة السياسية، ومناصرة القضية الجزائرية إلى حد بعيد، وهذا بالضرورة ما قادهم في الكثير من الأحيان إلى الضعف الفني، وخير دليل على ذلك هو اعترافات هؤلاء الشعراء في مقدمات دواوينهم بأن الثورة قد شغلتهم عن الابداع الفني، كقول عبد الرحمن بن العقون (...لست بالشاعر المكثّر الذي يتصور الأحاديث، فيأتيه الكلام منسجما، ولا بالشاعر المجيد الذي يختار الموضوع فيسرح)، وهذا ما نجده أيضا عند الشاعر مفدي زكرياء حين قال في مقدمة " اللهب المقدس " " لم أعن في اللهب المقدس بالفن والصناعة، عنايتي بالتعبئة الثورية...".

ونجد أيضا الشاعر احمد سحنون الذي لم يخرج عن الاطار العام للشاعرين السابقين، إذ ضحى بالجانب الفني من اجل خدمة القضية الوطنية، وهذا واضح في الابيات التالية:

¹. عمر زبرق، المصدر السابق، ص 61.

فيا من ونى عن ركاب الشباب تقدم فإنك خنت البلاد.

فكم عادة في الجبال كعاب غدت لظهور الشباب سنادا.

ولعل الأبيات التي هي من قصيدة " بشرى الجزائر " تبين مدى إهمال الشاعر للجانب الفني فكان أسلوبه فيها قريبا إلى النثر منه إلى الشعر.⁽¹⁾

¹ عمر زبرق، المصدر السابق، ص 64.

خاتمة

خاتمة :

في خاتمة البحث تبدوا الصورة التي إنتهى إليها و التي تبين المرحلة التي قطعناها لنطل على نافذة من شعر الجزائري، و التي قد تكون مجهولة لدى الكثير من الناس و هي نافذة شعر السجون.

و منه يمكن أن نسجل أهم النتائج و الملاحظات خلال هذه الدراسة:

أولاً: السجن مؤسسة عقابية عرفها الإنسان منذ القدم، و إن عرف تطورات و تعديلات إلا أنه أصبح مؤسسة عقابية إصلاحية تربوية في آن واحد.

كما أن السجن بقيوده و ظروفه لم يستطع أن يشعر الشاعر السجين بالعجز، و لم يلغ وجوده أو يطمس شخصيته.

ثانياً: أن شعراء السجن قد عبروا عن إحساسهم العميق بكل عفوية سواء ما تعلق بالقضايا الوطنية كالحنين إلى الوطن، أو ما تعلق بحياتهم الشخصية على سبيل المثال الحنين إلى الأبناء، الأهل الأحبة و هي ما تسمى بالبواعث الشخصية.

كما أن الشعراء كشفوا عن عبقرية عجيبة في التكيف مع ظروف السجن القاسية وقدرة خارقة على ترويض العقبات، بل و تحويلها إلى ملهات، و منهم من ألف السجن وألف فيه النظم و صنع علاقة حميمة معه.

ثالثاً: من الملاحظات التي تلفت الدارس للشعر الجزائري، و هي تلك النظرة الصادقة التي ابتعدت عن مبدأ الإختلاف والإفتعال و الحماس و النظرة التفاؤلية المتسامية لهؤلاء الشعراء الذين لم يركنوا لليأس والتشاؤم، وإنما دعوا إلى البناء و العمل.

كما نجد الإلحاح على الدين وهي أن شعراءنا كانوا و باستمرار يلحون على الدين بحيث لا تكاد تخلوا قصائدهم منه أو من الإشارات التاريخية المتعلقة به كأسماء الغزوات، أو أسماء أعلامه، كما أنهم إعتدوا عليه كثيرا في جانبهم الفني حيث إعتدوا عليه كمصدر في ذلك.

إضافة إلى التأثر بالموروث القديم (الشعر العربي القديم) بحيث يعتبر هؤلاء الشعراء من أصحاب الإتجاه الكلاسيكي أو التقليدي.

أما الجانب الموسيقي عند الشعراء هو تقليدي خليلي محافظين على أوزان و قوافي القصيدة العربية القديمة.

وبحثنا هذا كأي بحث لا يخلو من التقصير والنقص فهو بحاجة إلى ملاحظات وتوجيهات مفيدة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش

1- المصادر

2- أحمد سحنون، الديوان، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975.

3- محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

4- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، منشورات التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، ط2.

2- المعاجم :

5- ابن منظور ، لسان العرب (فصل السين المهملة، باب النون) ، ط3، دار صادر، بيروت، 1994.

3- المراجع

6- إبراهيم السولامي، الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، (1912-1956)، دار الثقافة، مطبعة النجاح، دار البيضاء، المغرب، 1947.

7- أحمد عروة، ذكرى و بشرى (من وحي الثورة الجزائرية)، دار مكتبة الحياة، بيروت.

8- إليزابيت درو، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة د. إبراهيم الشوس، مكتبة مذيمة.

9- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة، القاهرة، ط1، 1974.

10- جان كاز ونوف، سيكولوجية أسير الحرب، ترجمة عدنان سبعي و خليل شطا، دار دمشق للطباعة و النشر، سوريا، دار لبنان، ط1، 1983 .

11- سالم المعوش ، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية، لبنان، 2003.

12- السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، دار المعارف، ط2، 1983.

13- سليم ناصر بركات، مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث-دراسة دمشق، ط2، 1984.

- 14- صالح خرفي، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983 .
- 15- الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009.
- 16- عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، 1981 .
- 17- عبد الله الركيبي، قضايا عربية في شعر الجزائر المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1973 .
- 18- عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة في الجزائر، (1830 – 1962)، المركز الوطني للنشر، ط1، 2003.
- 19- عبد المالك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة للطباعة النشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- 20- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، ط7، 1978.
- 21- علال الفاسي، لجنة إحياء التراث زعيم التحرير، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، ماي 1977.
- 22- علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977.
- 23- عمار طالبي، ابن باديس (حياته و آثاره)، دار مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968.
- 24- عمر أحمد بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر (الشعر وسياق المتغير الحضاري)، منشورات جامعة باتنة، دار الهدى، عين مليلة الجزائر.
- 25- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث ، تاريخا قضيا وأعلام ، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط2 .
- 26- عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، منشورات جامعة باتنة، 1997.

- 27- كمال نشأت، أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث، دار لكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967 .
- 28- مالك حداد، الحرية و مأساة التعبير لدى كتاب الجزائر وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1961 .
- 29- محمد الملي، ابن باديس وعروبة الجزائر، دار العودة، بيروت 1973.
- 30- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج 1 مطبعة النهضة، تونس، 1926.
- 31- محمد بن سميّة، في الأدب الجزائري الحديث ، النهضة الادبية الحديثة، في الجزائر ، مؤثراتها بداياتها، مراحلها مطبعة ،الكاهنة ،الجزائر ، 2003.
- 32- محمد بن سميّة، محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر، 1989.
- 33- محمد زكي العثماوي، الشكل والمضمون في النقد الأدبي الحديث، عالم الفكر، ط2، 1978، عمر بوقرورة، الغربية و الحنين في الشعر العربي الحديث.
- 34- محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري في تونس، المؤسسة الوطنية للترجمة و التحقيق و الدراسات، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1991، ج1.
- 35- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة 1985.
- 36- مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في المغرب العربي، (1954، 1962)، دراسة موضوعية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، 7، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1998.
- 37- مقران فصيح، البناء اللغوي لشعر السجون، عند مفدي زكرياء وأحمد صافي النجفي، منشورات بونة، عنابة، الجزائر، ط1، 2008.
- 38- وهيب طنوش، الوطن في الشعر العربي، منشورات جامعة حلب، كلية الأدب، مديرية الكتب و المطبوعات، 1979.
- 39- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء، دراسة فنية تحليلية، دار البعث للطباعة و النشر، قسنطينة، الجزائر.

أ/ المجلات :

- 40- عبد الكريم بو الصفصاف، البعد الإسلامي في ثورة التحرير الجزائري، مجلة البصائر الصادرة عن مكتب الطلبة، جامعة قسنطينة العدد1، السنة1، نوفمبر 1985.
- 41- محمد صالح الجابري، الوعي القومي والديني عند الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس، مجلة الفكر، العدد7، السنة 30 أبريل 1985.

ب/ الجرائد

- 42- محمد بوعرارة، الوطنية المعاصرة، جريدة السلام، الجزائر، 2 ماي 1991.

ج/ الرسائل

- 43- الأخضر عيكوس، صورة الشعرية في القصيدة الجاهلية "دراسة بلاغية النقدية" رسالة ماجستير، معهد الأدب والثقافة العربية، جامعة قسنطينة، 1985- 1986.
- 44- سكيمة قدور، الحبسيات في الشعر العربي ، أطروحة دكتورا في الأدب العربي الحديث، معهد اللغة العربية وآدابها ،جامعة منتوري ،قسنطينة ، 2007.
- 45- محمد زغينة، شعر السجون والمعتقلات في الجزائر(1954-1962)، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة، (1989-1990).
- 46- عمر زيرق، شعر السجون في الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماستر ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة تلمسان، 2012 .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

مقدمة أ-ج

الفصل التمهيدي ماهية شعر السجون

- أولا : مفهوم شعر السجون. 5
- أ - السجن لغة: 5
- ب - السجن اصطلاحا : 6
- ثانيا : تطور شعر السجون عبر العصور الأدبية : 7
- ثالث : عوامل نشأة شعر السجون: 11

الفصل الأول السجن في الشعر الجزائري الحديث

- أولا : شعر السجون في الجزائر : 14
- ثانيا : أهم رواد شعر السجون في الجزائر : 16
- أ (مفدي زكرياء: 16
- ب) محمد العيد آل خليفة: 17
- ت (عبد الرحمن بن العقون : 17
- ج (أحمد سحنون: 18
- ثالثا: أبعاد شعر السجون في الجزائر 19
- أ- البعد الإيماني: 19
- ب- البعد الوطني: 24
- ج- الإخوانيات: 30

الفصل الثاني شعر السجون في الجزائر "دراسة موضوعية وفنية

اولا: المعجم الشعري لشعر السجون في الجزائر:	34
ثانيا: مصادر الصورة الشعرية لشعر السجون في الجزائر:	44
ثالثا: الموسيقى الشعرية لشعر السجون في الجزائر.....	50
رابعا : مواضيع شعر السجون في الجزائر :	55
أ) الحنين إلى الأهل والأحبة :	55
ب) الحنين إلى الوطن :	56
ت) الحنين إلى الحرية والإستقلال :	56
ج) التغني بالثورة والبطولات :	57
ح) الحنين إلى العروبة:.....	58
خامسا : خصائص شعر السجون في الجزائر :	59
أ) الصدق في التعبير عن الذات :	59
ب) الصدق في التعبير عن الموضوع :	60
ت) التفاؤل والتسامي :	60
ج) العناية بالمضمون :	61
خاتمة	64
قائمة المصادر والمراجع.....	67

ملخص :

يعالج هذا الموضوع أدب السجون في الشعر الجزائري الحديث حيث ان شعراء السجون قد عبروا عن احساسهم العميق بكل عفوية وكشفوا عن عبقرية عجيبة في التكيف مع ظروف السجون .

حيث يكشف هذا البحث ذلك الابداع المكتوب من وراء جدران السجون في السياق معلوم تاريخيا من خلال دراسة موضوعية وفنية في مجموعة من النماذج .

الكلمات المفتاحية: أدب – السجون – الشعر

Résumé:

Ce sujet est traité dans les prisons algériennes littérature moderne où la poésie des poètes prison ont exprimé leur profond sentiment de toute spontanée et a révélé le génie étrange de s'adapter aux conditions de détention.

Là où cette recherche révèle que l'innovation est écrit derrière les murs de la prison dans un contexte historique connu par l'étude de fond et technique dans une gamme de modèles.

Mots-clés: Littérature - Prison - Poésie

